الشيخ

أبو عبد الفتاح علي بن حاج

غاية المراد في قضايا الجهاد

الجبهة الإسلامية للإنقاذ

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

معشر القرّاء الأفاضل ، بعد أن انتهى إلى علمنا أنّ الأخ أبا عبد الفتاح سيقدم قريباً إلى المحاكمة الثانية في «المظالم الخاصة» التي اخترعها النظام الطاغي الظالم الخارج عن قانون السماء والأرض لقهر المسلمين ، وتكميم أفواه الدعاة العاملين ، وتصفية خصومه السياسيين الذين هزموه شرّ هزيمة في ميدان الصراع السياسي السلمي عن طريق الانتخابات مرّتين رغم دسائسه ومكره للمسلمين في الخفاء ﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ عزمنا بعون الله تعالى على نشر بعض رسائله التي خطّها بيمينه من وراء السجن العسكري بالبليدة دون خوف أو وجل معالجاً فيها بعض القضايا الشرعية ومذكراً ببعض الوصايا النافعة المفيدة فجزاه الله وسائر إخوانه الشيوخ خير الجزاء وفكّ أسرهم وسائر المساجين الذين وقع عليهم البغي والاعتداء ، ورحم الإخوة الشهداء الأتقياء وثبّت أقدام المجاهدين الأشدّاء ، وخفّف عن سائر الشعب الظلم والعناء الذي سلّطه عليهم الطغاة الأشقياء .

الرسائل التي يطيب لنا نشرها هي :

الرسالة الأولى :

رسالة حول أهداف الجهاد في الإسلام ومتى يجب ، كتبها بتاريخ 20 مارس 1993م وهي أول رسالة خرجت وكأنها ردٌّ على الذين اتّهموا الإخوة بالدفاع عن أنفسهم في مواجهة النظام الظالم الفاسد المنحل بالتهوُّر والعنف ؛ متناسين عنف النظام منذ 62 الذي لم يعالج أي قضية معالجة سياسية ، وإنما الحل الوحيد عنده دوماً حمّامات من الدم والقتل والسجن والتعذيب وهذه ظاهرة في النظام الجزائري منذ الاستقلال إلى اليوم مما يدل على أن النظام عريق في ممارسة الإرهاب المقنن ، ولم يغفل في نفس الوقت الرّد على أولئك الذين يظنون أن الجهاد هدفه إكراه الناس على الدخول في الدين .

الرسالة الثانية :

وهي تثبت بأن الإعدام لا يلحق الأرواح مطلقاً حتى لا يتخوّف المسلمون من الحكم بالإعدام ، ولعل السبب الدافع على كتابتها أن قاضي التحقيق ـ فيما بلغنا ـ أخبر الشيوخ بأنه لا يملك من أمره شيئاً وأن توزيع التهم تمّ في مكتب وزير الدفاع مع جماعة من الجنرالات وأن هناك منهم من قال ينبغي إعدام بن حاج علي ، فلما بلغه الخبر كتب هذه الرسالة تحدياً وإيماناً أن الأرواح لا يلحقها الإعدام وكلنا يعلم أنه واجه قاضي التحقيق بهذا يوم «المظلمة الأولى» .

الرسالة الثالثة :

وهي رسالة تجيب عن بعض الأسئلة بعد تأزُّم الأوضاع واستخدام النظام الكافر كل الوسائل الجهنمية ـ حتى المحرّمة دولياً ـ في قمع المسلمين وبشكل

فظيع وسط تعتيم إعلامي داخلي وخارجي، ولكن سوف يأتي اليوم الذي يكشف أمر هذا التعتيم للعالم فيدرك فظاعة ما ارتكبه النظام الجزائري من مجازر وتعذيب وهتك للأعراض ونسف للمنازل و.. و...

ورغم ذلك نجد أنَّ الشيخ أبا عبد الفتاح يجيب بإسهاب مدعماً كل ذلك بالأدلة الشرعية التي لا تقبل الجدال أو المماحكة.

الرسالة الرابعة:

وهذه الرسالة أمرها غريب وعجيب، إذ بعد أن تعرّض الشيوخ للضرب والإهانة بشكل فظ من طرف رجال من الجيش بعثتهم وزارة الدفاع خصّيصاً لهذه الغاية للضرب والإهانة وكشف العورات وعزل الشيوخ عزلة قاتلة. وبلغ الخبر العائلات وتساءلت بعض النسوة عن واجبهنَّ الجهادي فكانت تلك الرسالة رغم أن المدير الأخير عامل الشيوخ معاملة قبيحة ـ قاتله الله ـ خلفاً للمدير الأول، وقد كان فيما بلغنا أنه يحسن معاملة الشيوخ وذلك لأنه مجاهد قديم ويعرف الأخ الداعية عبد القادر بوخمخم الذي كان معه في الجهاد ويعرف عائلة الأخ الفاضل علي حدي المجاهد، وله عطف على المجاهدين وأبناء الشهداء، وتعرّض إلى الفصل من عمله و إحالته على التقاعد بسبب الرسالة التي أرسلها الشيخ أبو عبد الفتاح إلى «المظلمة العليا» وكانت شديدة اللهجة وحرجة بطريقة قانونية لا غبار عليها، والتي كلفت المحامي الفاضل تاوتي 3 سنوات سجن ظلماً وعدواناً، وهذا يظهر أن قيادة الجيش هي السبب في مصائب الجزائر كلها منذ 62 حرصاً على قيادة البلاد من وراء الكواليس أو من وراء مكاتب وزارة الدفاع، ورغم التشديد الذي ضرب على الشيوخ استطاع الشيخ أبو عبد الفتاح إخراج هذه الرسالة دون أن يفطن لها

المدير الطاغية والنائب العام الذي فرح فرحاً شديداً بفصل مدير المؤسسة وإحالته على التقاعد ليصول ويجول داخل المؤسسة.

فإليكم هذه الرسائل الأربع مع العلم أن الشيخ أبو عبد الفتاح تنتظره محاكمة ثالثة في البليدة بسبب رسالة أخرى أخرجها من السجن منذ مدة طويلة.. فكّ الله أسر الجميع.

وبحمد الله عزّ وجلّ وصلتنا أثناء إعداد هذا الكتاب للطباعة رسالة خامسة موجهة إلى لجنة الحوار "المستقلة" والتي يصدع فيها الشيخ بكلمة حق من وراء القضبان، موضحاً حقيقة استقلالية اللجنة!، كما بين فيها واقع الجريمة الحالية في الجزائر ومن هو المسؤول عنها والطريق الذي يقود فعلاً لحل الأزمة، داعين الله أن ينفع بها المسلمين والجزائر وأن ينصر بها الحق! وأن يجزي أبا عبد الفتاح خير الجزاء!.

«آمين»

ألمانيا في 13 شعبان 1414هـ الموافق لـ 1994/1/24م.

رئيس الهيئة التنفيذية
للجبهة الإسلامية للإنقاذ في الخارج

رابح كبير

الرسالة الأولى

الجهاد في سبيل الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، القائل وقوله الحق ﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام وهو القائل «ما من مسلم يُظلم مظلمة فيقاتل فيقتَل إلا قتل شهيداً» وعلى آله وصحبه الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ولم يبدلوا تبديلاً.

إخوتي الأحبة السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يطيب لي أن أبلغكُم تحية الشيوخ حفظهم الله ورعاهم من وراء قضبان السجن العسكري بالبليدة، راجياً من الله تعالى أن ينصر الإسلام والمسلمين، ويخذل المنافقين الخائنين ويقصم ظهر الجبابرة الطغاة الغادرين، الذين خانوا العهد ونقضوا الوعد، وأغاروا على إخواننا الأبطال بساحة أول ماي والشهداء ليلاً، وأمطروهم بالرصاص، رصاص الغدر والخسّة والخيانة وهم بين راكع وساجد، ونائم وقاعد، وذاكر وشاهد، دون سابق إنذار ولا مجرد إخطار، مما دفع بإخواننا

الأماجد إلى الدفاع عن أنفسهم وردع كيد الأشرار، كما أسأله جلّت قدرته أن يخفف عن سائر المؤمنين في بلدنا وبلاد المسلمين أجمعين.

إخوتي الكرام لا تنتظروا مني في هذا الاتصال أن أحدثكم عن ظروف سجن الشيوخ الثمانية ولا ما ينتظرنا في مستقبل الأيام التي علمها عند ربي، وذلك لأن التحقيق لم يتم، وصورة المؤامرة لم تتضح بكل دقائقها وتفاصيلها وأبعادها، ومن العبث الرجم بالغيب، غير أننا عازمون بحول الله وقدرته على الدفاع عن ديننا وإخواننا، مهما كلفنا ذلك من ثمن. وسنعمل جاهدين على كشف العناصر الخفية التي كانت سبباً في تأزّم الوضع الذي نجم عنه سفك دماء الأبرياء بغير رحمة ولا شفقة، وفتح السجون لنا ولكثير من إخواننا إلا عن نجاه الله لحكمة يعلمها - جلّت حكمته - وأن الشيوخ الثمانية يأملون أن تعالج هذه القضية بسرعة وبطريقة سياسية محضة، حتى لا تنجم عواقب وخيمة فيما يستقبل من الأيام - لا سمح الله - ومن هنا لا أريد أن أسبق الأحداث، فأتحدث عن السجن والاعتقال وظروفه وأسبابه وخلفياته السياسية، لاسيما والتحقيق يقوم به النقيب سليماني الذي لا يعرف من أين يبدأ وإلى أين ينتهي، ويشارك فيه الرائد المدعو البخاري هذا الأخير الذي يظهر أنه أقحم في قضية سياسية لا بد عليه أن يعطيها غطاءً قانونياً إجرامياً كيفما اتفق وهو يتظاهر - والله أعلم به - أن القضية سياسية، ولكن لا يقوى لها دفعاً بحكم أنه عسكري لا يقوى إلا على تنفيذ

الأوامر . ومن هذا المنطلق وتلك الحيثية ، فلنترك الحديث إلى الأيام والشهور المقبلة والله المستعان .

أحببت أيها الإخوة الأفاضل أن أتحدث عن فريضة من أعظم فرائض الإسلام بعد التوحيد وإقام الصلاة ، حتى يعرف كل مسلم واجبه الشرعي عندما يطغى الباطل ويستفحل الطغيان ، ويستخدم أهل الطغيان سلاح القوة والقهر في مواجهة الدعاة أو الخصوم السياسيين لمنع الدعوة الحقة من أن تنتشر بهدوء ، وتأخذ طريقها السلمي للانتشار ، ويكتب الله لها القبول عند الناس في وضح النهار وعن طريق الإنتخاب وحرية الاختيار . وإن الحديث عن الجهاد في سبيل الله سبق وأن عالجته وأنا خارج السجن بحكم أنه من أهم فروع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشيء من التفصيل والبيان ، وهاأنذا أجدد فيه الحديث كتابة من وراء القضبان قياماً بواجب النصح والصدع راجياً من المولى تعالى أن يسهل لهذا المقال ولغيره أن يخرج من وراء جدران السجن الغليظة ، وإذا حال الله تعالى - لحكمة يعلمها هو - دون هذه الأمنية ، فإن الخير في هذه الأمة عميم وفير ، وسيقيّض الله تعالى من هو أفضل منا لطرق هذا الموضوع من الناحية الشرعية . والحمد لله تعالى أن شباب المسلمين اليوم لا يرتبطون بالأشخاص بقدر ما يرتبطون بالمبادئ الإسلامية . وهذا ما يبشّر بخير لهذه الأمة ، بحيث لا يظهر فيها من يدجّل على الناس ويربطهم بشخصه الفاني ، وهذا ما يقلق أعداء الإسلام كثيراً ، لأنهم إذا قضوا على الدعاة بالإعدام ظلماً وعدواناً ، أو سجنوهم لمدد

طويلة في غياهيب السجون، فلا تعدم الساحة من دعاة يجهرون بالحق ويواصلون الطريق حتى إذا ضعف داعية أو تراجع أو خان الأمانة وركن إلى الدنيا أو بدّل وغيّر، فإنهم ينفضون أيديهم منه على عجل بعد التثبت وإقامة الحجة. ويعلمون أن النفس البشرية قد تضعف أحياناً، وقد تخون، وقد تتراجع القهقرى ابتغاء متاع الحياة الفانية. وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول: «إنما الأعمال بالخواتم» وقوله في الحديث الصحيح «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى إذا لم يكن بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها».

نسأل الله جميعاً حسن الخاتمة آمين.

أما الآن إخوتي الكرام فإلى الحديث عن أهداف الجهاد في الإسلام ضمن هذه النقاط:

أولاً: فضل الجهاد في الكتاب والسُّنّة وعند سلف الأمة

ثانياً: مسوغات الجهاد في الإسلام

ثالثاً: ما هو سبب القتال أهو الكفر أم الاعتداء ؟!

أولاً

فضل الجهاد في الكتاب والسُّنَّة وعند سلف الأمة

لا أعرف فريضة هامة فرّط فيها المسلمون تفريطاً عظيماً مثل الجهاد في سبيل الله تعالى رغم أن نصوص القرآن الكريم طافحة بالحديث عن هذه الفريضة العظيمة والتي تعتبر ذروة سنام الإسلام، وإني لأسأل عن السبب الذي جعل الكثير من العلماء والدعاة يميلون للإفاضة والإسهاب في الحديث عن الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج، والقضايا الشرعية التي لا تتجاوز علاقة الإنسان بربه فحسب، وإن كانت هذه العبادات والقضايا جديرة بالاهتمام والشرح والبيان، ولكن الذي يُعاب هو قَصْر الحديث عليها والتأليف فيها والوعظ بها دون التطرق بنفس الإسهاب والشرح والإيضاح للقضايا السياسية الشرعية والفرائض المنسية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى، حتى خيل لجماهير المسلمين أن الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحديث في السياسة الشرعية ليست من الأمور ذات الأهمية في الدِين. وما ذاك إلا لأن كثيراً من الدعاة - إلا ما رحم ربي -

يقصرون الحديث على جانب من الإسلام دون جانب وهذا عين التفريط.

الناظر في كتاب الله تعالى بتأمل وتدبُر يُدرك مدى مكانة الجهاد في سبيل الله تعالى، فثمة سور قرآنية أخذت أسماءها من وقائع جهادية خاضها الرسول ﷺ (أي الغزوات) مثل سورة الأحزاب والحشر، والقتال، والفتح، والنصر. وهناك سور أخرى تحدثت عن الغزوات بإسهاب، فسورة الأنفال تحدَث عن غزوة بدر، وآل عمران عن غزوة أُحد، والتوبة عن غزوة تبوك فضلاً عن الآيات القرآنية الكريمة المبثوثة هنا وهناك في طول القرآن وعرضه تشرح أحكام الجهاد وتحثَ عليه الصالحين من العِباد والعُبّاد، وترغب فيه أحسن ترغيب بذكر فضائله ومكانة الشهداء عند ربهم، وترهِّب من تركه والقعود عن نصرة الحق بخلاً بالمال وجبناً بالنفس وإخلاداً إلى الدنيا الفانية، والإفتنان عنه بالولد والزوجة والتجارة والقصور ونحو ذلك من المقعدات.

فهل بعد هذا كله يجهل فضله ومكانته قارىء للقرآن ودارس لأحكامه وحِكَمه. والحق يقال أنني لم أجد سورة سميت باسم سائر العبادات - ما عدا الحج - إلا الجهاد في سبيل الله تعالى كما سبق الإشارة إليه، مما يدل على أن الجهاد فعلاً ذروة سنام هذا الدين. فلماذا يزهد الدعاة والأئمة والكتّاب في الحديث عن هذه الفريضة!! ولا بأس إخوتي في الله تعالى أن أسرد بعض الآيات القرآنية في فضل الجهاد والاستشهاد:

1) قال تعالى :

﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضّرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكُلاّ وعَدَ الله الحُسنى وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً ﴾ النساء: 95 وجاء في تفسير الدرجات بمائة درجة ما بين كل درجتين مثل ما بين السماء والأرض.

ـ وقال تبارك وتعالى :

﴿ فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيُقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ النساء: 4 .

ـ وقال عز وجل :

﴿ والذين هاجروا في سبيل الله ثم قُتلوا أو ماتوا ليرزقنّهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ﴾ الحج: 58 .

ـ وقال تبارك وتعالى :

﴿ ... ومَن يخرج من بيته مُهاجراً إلى الله ورسوله ثم يُدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ النساء: 100 .

والنصوص في هذا المعنى أكثر من أن تحصر ولو لم يكن في فضله إلا قوله تعالى: ﴿ ولا تحسبَنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يرزقُون * فرحينَ بما آتاهم الله من فضله... ﴾ آل عمران: 169 لكفى بذلك فضلاً وشرفاً .

2) أما الأحاديث في فضل الجهاد والاستشهاد فهي أكثر من أن تحصر لا يخلو منها كتاب من كتب السُّنّة. وإليك بعضها:

- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رجل: «أي الناس أفضل يارسول الله ؟ قال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» رواه الشيخان.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفأه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالماً مع أجر أو غنيمة» رواه الشيخان واللفظ مسلم.

- وروى أبو هريرة رضي الله عنه «قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله عزّ وجل ؟ قال لا تستطيعونه. فأعادوا عليه مرتين - أو ثلاثاً - كل ذلك يقول لا تستطيعونه. وقال في الثالثة مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

- وقال عليه الصلاة والسلام «قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل الله خير من قيام ستين سنة».

- وقال أيضاً «ما خالط قلب امرىء مسلم رَهَج في سبيل الله إلا حرّم الله عليه النار».

والأحاديث في فضائل الجهاد كثيرة وكثيرة جداً. كما أن هناك

عشرات تحذِر من القعود عن الجهاد لما يترتب عليه من الآثار الوخيمة في حياة الأفراد والجماعات منها:

ـ قال عليه الصلاة والسلام «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلَّط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» رواه أبو داود، حسن. قال الدمياطي في معناه «ودلّ قوله ﷺ حتى ترجعوا إلى دينكم على أن ترك الجهاد والإعراض عنه والسكون إلى الدنيا خروج عن الدين ومفارقة له وكفى به ذنباً وإثماً مبيناً».

ـ وقال عليه الصلاة والسلام «من لم يغز أو يجهّز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة».

ـ وقال عليه الصلاة والسلام «عليكم بالجهاد في سبيل الله فإنه باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم».

فها أنتم إخوة الإسلام قد ضرب علينا الذل والمهانة والقوارع والهموم والغموم كل ذلك بسبب قعودنا عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

3) والآن إليكم أيها الإخوة ما قاله السلف الصالح والأئمة الأعلام في فضل الجهاد ومكانته:

ـ قال أبو بكر الصِديق رضي الله عنه: بعد أن صعد المنبر: «ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالفقر».

ـ وقال علي رضي الله عنه: «الجهاد في الله باب من أبواب الجنة ومن ترك الجهاد في سبيل الله ألبسه الله الذلة وشمله البلاء ودُيِّث بالصغار وسيم الخسف ومنع النَّصَف».

ـ وقال عثمان بن عفان على المنبر: «يا أهل المدينة ألا تأخذوا بحظكم ونصيبكم من الجهاد في سبيل الله؟ ألا ترون إلى إخوانكم من أهل الشام وإخوانكم من أهل مصر وإخوانكم من أهل العراق؟ والله ليوم يعمله أحدكم في سبيل الله خير من ألف يوم يعمله في بيته صائماً قائماً لا يفطر ولا يفتر».

ـ قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر ويصوم فلا يفطر ما كان حيّاً؟ فقيل: يا أبا هريرة من يطيق هذا؟ قال: والذي نفسي بيده إن نوم المجاهد في سبيل الله أفضل منه»

ـ قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إن المجاهدين في سبيل الله أولياء الله وأنصاره في الأرض، ألا وان الله يحتجب عن جميع خلقه وحملة عرشه حتى ينظر إليه المجاهدون في سبيل الله»، وكان يرى الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال بعد الصلاة.

ـ قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: «لقد منعني كثيراً من القرآن الجهاد في سبيل الله عز وجل»

ـ وقال أيضاً: «ما ليلة تهدى إليّ فيها عروس أنا لها محبّ أو أُبشّر فيها بغلام أحبَّ إليّ من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أُصبّح فيها العدو، فعليكم بالجهاد»

ـ وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بالحج فإنه عمل صالح أمر الله به، والجهاد أفضل منه»

ـ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لسفرة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة»

ـ وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: «هذا (أي الجهاد) أفضل من عشر حجج»

وقال اسحاق بن أبي فروة: «ليس من أحد أقربَ إلى درجة النبوّة من درجة العلماء والمجاهدين» فقيل له كيف ذلك؟ فقال «العلماء قاموا بما جاءت به الأنبياء من تثبيت أمر الله في عباده وبلاده، ويدلون الناس على الله، وإن المجاهدين قاموا بما جاءت به الأنبياء عن الرب من توحيد لله أن لا يُطفأ نوره، ولأن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى»

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «من حرّض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره، وكان له في كل خطوة في ذلك عبادة سنة»

وقال ابن عباس رضي الله عنه: «من صلّى ركعتين في سبيل الله خرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أُمه»

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «لأن أبيت حارساً خائفاً في سبيل الله عز وجل أحبّ إليّ من أن أتصدق بمائة راحلة»

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «لأن أقف موقفاً في سبيل الله مواجهاً للعدو لا أضرب بسيف ولا أطعن برمح ولا أرمى بسهم أفضل من أن أعبد الله ستين سنة لا أعصيه»

ولو أطلقت لقلمي العنان لجاءت صفحات وصفحات في فضل الجهاد، وهاك بعض ما قاله العلماء:

قال الإمام أحمد بن حنبل: «ليس يعدل لقاء العدو شيء، ومباشرة القتال بنفسه أفضل الأعمال والذين يقاتلون العدو هم الذين يدفعون عن الإسلام وعن حريمهم. فأي عمل أفضل منه الناس آمنون وهم خائفون قد بذلوا مهج أنفسهم»

وقال ابن القيم في الفروسية: «نص الإمام أحمد على أن العمل بالرمح أفضل من صلاة النافلة في الأمكنة التي يحتاج فيها إلى الجهاد»

قال الشاطبي في الموافقات: «إن النفوس محترمة محفوظة ومطلوبة الإحياء، بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال أو إتلافها وإحياء المال كان إحياؤها أولى فإن عارض إحياؤها إماتة الدين كان الدين أولى وإن أدى إلى إماتتها كما في جهاد الكفار وقتل المرتد وغير ذلك»

وقال العز بن عبد السلام في الجهاد: «من قاتل في سبيل الله بنفسه، وحثّ على ذلك، فقد باشر الجهاد بنفسه وتسبّب في تحصيله بحثه، فحاز شرف التسبب والمباشرة بقوله، فما الظن بمن تسبب إلى ذلك بقوله وفعله فجنّد الأجناد وباشر الجهاد؟ وقال أيضاً: «والجهاد من أبر البر والمعونة عليه من أفضل المعونة».

ثانياً

مسوغات الجهاد في الإسلام

هناك أقلام حاقدة على الإسلام من المستشرقين وأتباعهم من بني جلدتنا عملوا جاهدين على تشويه فريضة الجهاد في سبيل الله تعالى لتنفير المسلمين من هذه الفريضة العظيمة، وقد نجحوا إلى حد بعيد في هذا المكر الملتوي في غيبة الدعاة - إلا القليل منهم -. ولست الآن بصدد الرد على تلك الشبهات الزائفة والأقاويل الباطلة التي روجت لها الأقلام المسمومة التي تفننت في تشويه حقائق الإسلام الناصعة وعلى رأسها فريضة الجهاد العظيمة. وحسبي فقط أن أبيّن أهداف الجهاد في الإسلام حتى تتضح الحقيقة.

1 - دفع الاعتداء على المسلمين وحق الانتصار لمن ظُلم:

يعتبر الاعتداء مسوغاً من مسوغات الجهاد في سبيل الله تعالى، وهو حق طبيعي لا غبار عليه. قال الله تعالى: ﴿ والَّذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها فمن عفا وأصلح

فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * وَلَمن انتصر بعد ظُلمه فأولَئك ما عليهم من سبيل * إنَّما السبيل على الَّذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولَئك لَهُم عذابٌ أليم﴾ الشورى: 39-42. وقانون التدافع ينبغي عدم الغفلة عليه وإلا ضاعت العقائد والأديان، قال تعالى: ﴿... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهدِمت صوامع وبِيَع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ الحج: 40 وقال عزّ وجل: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَفَسدت الأرض﴾ البقرة: 251.

- قال أبو عبد الله الحليمي في شعب الإيمان 466/2: «أبان سبحانه أنه لولا دفع الله المشركين بالمؤمنين وتسليط المؤمنين على دفعهم عنه بسيف الإسلام وكسر شوكتهم وتفريق جمعهم لغلب الشرك على الأرض وارتفعت الديانة، فثبت بهذا أن سبب بقاء الدين واتساع أهله للعبادة إنما هو الجهاد، وما كان بهذه المنزلة فحقيق أن يكون من أركان الإيمان وأن يكون المؤمنون من الحرص عليه في أقصى الحدود والنهايات».

- قال ابن القيم في طريق الهجرتين «هم جند الله الذين يقيم بهم دينه ويدفع بهم بأس أعدائه، ويحفظ بيضة الإسلام، ويحمي بهم حوزة الدين، وهم الذين يقاتلون أعداء الله، ليكون الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، وقد بذلوا أنفسهم في محبة الله ونصر دينه وإعلاء كلمته ودفع أعدائه».

والآيات القرآنية في وجوب رد الاعتداء كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين﴾البقرة: 190، وقال عز وجل ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾البقرة: 194، وقال تعالى أيضاً ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير* الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربُّنا الله...﴾ الحج 39-40.

فمن خلال ما تقدم، نُدرك أن الإسلام أوجب القتال عند الاعتداء وأقرّ مبدأ الدفاع عن النفس ورد الظلم والطغيان والوقوف بصرامة في وجه المعتدين. ومن صور الاعتداء اضطهاد المسلمين الذين يعملون لرفع راية الإسلام بالوسائل السلمية فيحق لهم عند تعرضهم للإيذاء والاعتداء أن يدفعوا عن أنفسهم، لأن الإسلام دين سلام، ولكنه ليس دين استسلام وخضوع للطواغيت. وهذا أمر أجمع عليه أهل العلم قديماً وحديثاً، بل قال به جميع العقلاء، ومن هناك يرى ابن خلدون أن الحرب لا تكون مشروعة إلا إذا كانت جهاداً في سبيل الله والدين...

2 ـ حماية حرية الدعوة ومنع الفتنة:

لا شك عند عموم المسلمين أن الأمة المسلمة مكلفة شرعاً بنشر الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال الحسن.

قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾آل عمران: 104 ، وقوله تعالى ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ البقرة: 143 ، وقوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾آل عمران: 110 .

وإذا ما تعدت الأمة عن هذا الواجب الشرعي ، فهي آثمة وتستحق اللعنة .

قال تعالى ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾ المائدة: 78-79 . فإذا تعرض أحد طريق الدعاة والمسلمين ومنعهم حقهم في نشر الدعوة بالتي هي أحسن ، وجب الجهاد وكسر تلك الحواجز الصادّة عن سبيل الله تعالى وقمع الطواغيت الذين يفتنون الناس عن دينهم بسياسة الحديد والنار. قال تعالى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ الحج: 40 . فلا بد من جهاد تلك الأنظمة الطاغية لتتحقق حرية العبادة فإن فتنة الناس أمر عظيم لا يمكن السكوت عليه. قال تعالى ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عُدوان إلا على الظالمين﴾ البقرة: 193 ، أي لا تكون فتنة منهم للمسلمين عن دينهم بالإكراه والضرب والقتل والتعذيب والسجن. كما قال ابن الهمام في فتح

القدير فلا بد من الجهاد والقتال لتأمين الدعوة وحرية نشرها والدفاع عن المسلمين حتى لا يفتنوا في دينهم ويتمكنوا من نشر الرسالة الإسلامية بالأساليب الشرعية في حرية تامة دون إرهاب لهم أو تخويف من أحد، ليتحرر الناس من العبودية لغير الله. واعلموا إخوة الإسلام أن الفتنة كما قال الله تعالى ﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾، ذلك لأن الاعتداء على العقيدة أشد خطراً من الاعتداء على المال والأهل والنفس.

وقد دلّت وقائع التاريخ أن الأنظمة الطاغية هي التي تمنع الدعاة من نشر الدعوة، وما خبر الملأ أمام الرسل عنّا بغريب. ومن هنا كان من أهداف الجهاد النبيلة السامية إزالة هؤلاء الطواغيت الذين يستعبدون الشعوب ويصرفونهم بالقهر عن معرفة الحقائق وحرية الاختيار.

قال الله تعالى ﴿ ... فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾ التوبة: 12 أي لعلهم ينتهون عن باطلهم وصدّهم عن سبيل الله وفتنة الناس عن دينهم. فالغرض من قتالهم دفع ضررهم لينتهوا عن فتنتنا وقتالنا، والعجيب أن الآية القرآنية الكريمة خصّت بالذكر "أئمة الكفر" وهم أصحاب السلطان والسلطة لأنهم هم الذين يصدون الناس بالقهر والعنف والإرهاب عن سبيل الله تعالى وتعطيل حرية نشر الدعوة وعرضها عرضاً عادياً لا يقترن بعنف أو رهبة، كل ذلك يفعلونه حفاظاً على مصالحهم الذاتية ونفوذهم ومكاسبهم المحرمة. فإذا توجه لهم المسلمون المجاهدون الموحِّدون بالقتل والقتال زالت تلك الحواجز

التي يصنعونها بين دعاة الإسلام والخير والهدى وبين شعوبهم، وهذا ما يهدف إليه الجهاد في سبيل الله تعالى. فالقتال يتوجه للمقاتلين الصادين عن سبيل الله تعالى. قال تعالى ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾ الأنفال: 47. وعاب على أهل الكتاب جريمة الصد عن سبيل الله تعالى فقال ﴿قل يا أهل الكتاب لِم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عِوَجاً﴾ آل عمران: 99 وبيّن خسران الصادين عن سبيل الله تعالى فقال ﴿الذين كفروا وصدُوا عن سبيل الله أضل أعمالهم﴾ محمد: 1، وإذا كان الإسلام يتوجه إلى قتال الصادين عن سبيل الله فإنه لا يتعرض للشعوب والمسالمين الذين لا يريدون شراً بالإسلام، فغاية ما يفعله المجاهدون السعي، بل العمل على تحطيم العوائق والحواجز التي يضعها الطواغيت حتى يستطيع عموم الناس بعدها أن يتحرروا من ظلمهم وأن يختاروا الذي يصلحهم ويرضي عقولهم وقلوبهم ويستطيع الدعاة أن يمارسوا حريتهم في دعوة الناس إلى الإسلام، وشرح حقائقه السمحة دون تخويف أو إرهاب أو خشية اعتداء من أحد ومنحهم حرية اختيار الدين الذي يقتنعون به، إذ «لا إكراه في الدين»، ومن هنا ينبغي عدم الخلط بين تحطيم القوى المادية التي تحول بين الناس وبين الدعوة وبين الإكراه.

قال خالد اسطنبولي في المشارع 1/24: «ومعلوم لدى الجميع أن رسول الله ﷺ لم يسل عليهم سيفاً ولا رفع عليهم حجراً في ذلك

الحين، وأما قبل هذه الدعوة فما كان يوجد شخص على وجه الأرض أحب إليها وآمن لديها منه على الإطلاق، والسؤال هنا هل هو بدأها بهذه العداوة أم هي بدأته؟. الجواب واضح ولكي يتضح المعنى أكثر أُمثل برجل له شخصية مرموقة ومنزلة رفيعة في قومه ذهب إلى رئيس الدولة فقال له: الحكم الذي تحكم به أنت باطل وهذه القوانين الوضعية التي عندك غير مناسبة للشعب وعندي حكم آخر وأنظمة صالحة لك ولرعيتك أيضاً فاقبل وإن لم تقبل أنت اتركني أدعو الشعب إليه. فماذا يكون مصير هذا الشخص عند هذا الرئيس؟، وإن قبض عليه وشنقه فأيهما البادئ؟. والجواب واضح هكذا شأن الجهاد سواء بسواء». قلت فلا بد من قمع الفتنة وتأمين حرية الدعوة.

3 ـ نصرة المضطهدين فرداً أو جماعة:

الإسلام يكره الظلم والظالمين، ومن هذا المنطلق قرر مبدأ الدفاع عن المسلم أينما كان بغض النظر عن المكان الذي يعيش فيه، واعتبر الإسلام الظلم والاضطهاد الذي يقع على المسلم ولو كان في أبعد بقعة في الأرض مبرراً لقتال إخوانه من أجل رفع الظلم والعدوان الواقع عليه.

قال تعالى ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان﴾ النساء: 75 فالآية القرآنية تدعو المسلمين للقتال من أجل تخليص إخوانهم المستضعفين المضطهدين فأباح الله

التدخل في شئون الغير الداخلية لإنقاذ المسلمين الذين يقعون تحت سيطرتهم وتعذيبهم وسماه «جهاد في سبيله».

بل إن الرسول ﷺ شنَّ معركة من أجل مناصرة قبيلة خزاعة وهم الكفار بعد ان استنصروا به، غير أن هذه المناصرة مقيدة من جانب المسلمين بعدم الإخلال بالعهد. قال تعالى ﴿وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ الأنفال: 72 وهذا ما يمكن تسميته بلغة العصر حرب تأديبية.

ومذهب الشافعي أن فداء الأسير مستحب وأوجبه أحمد بن حنبل كما أوجبه مالك. وقد قال عمر بن الخطاب «لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي المشركين أحب إليّ من جزيرة العرب».

وقال العز بن عبد السلام في الجهاد 97 : «إنقاذ أسرى المسلمين من أيدي الكفار من أفضل القربات. وقد قال بعض العلماء: إذا أسروا مسلماً واحداً وجب علينا أن نواظب على قتالهم حتى نخلصه أو نبيدهم، فما الظن إذا أسروا خلقاً كثيراً من المسلمين».

وقال القرطبي في تفسيره: «حض الله تعالى على تخليص المستضعفين من أيدي الكفرة المشركين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين فأوجب الله الجهاد لإعلاء كلمته وإظهار دينه واستنقاذ المؤمنين الضعفاء من عباده وإن كان في ذلك تلف النفوس».

ثالثاً

ما هو سبب القتال أهو الكفر أم الاعتداء ؟!

بعد أن شرحت الأسباب التي تدعو إلى الجهاد وقتال الأعداء بقي هناك سؤال هام وخطير ألا وهو: ما هو الدافع على القتال أهو الكفر أم الاعتداء ؟

لقد اختلف أهل العلم في السبب الباعث على الجهاد، فقال بعضهم سببه الكفر وينسب هذا القول للشافعي، وقال الجمهور أن سببه القتال وما تقدم من المسوغات الآنفة الذكر.

والذين قالوا أن الكفر هو السبب المبيح للقتال استدلوا بمثل قوله تعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرُم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ...﴾ التوبة: 5 وعمومات أخرى.

والذين قالوا أن السبب هو القتال والاعتداء ردوا على الدليل السابق بأنه مخصوص بأدلة أخرى. وذكروا جملة من الأدلة منها:

1 ـ قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا﴾ فالأذن بالقتال من أجل القتال.

2 ـ قال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أُوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون﴾ التوبة: 29 ولم يقل قاتلوهم حتى يسلموا كرهاً ولو كان بسبب الكفر، لقال حتى يسلموا.

3 ـ قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدِين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبرُوهم وتقسطوا إليهم إن الله يحبُ المقسطين﴾ الممتحنة: 8 وهذه الآية واضحة الدلالة.

4 ـ لو كان القتال بسبب الكفر لجاز قتل غير المقاتلة كالراهب والشيخ الكبير والمقعد والأعمى والنساء الكافرات. فقد نهى أبو بكر الصديق عن قتل الرهبان الذين هم في الصوامع.

5 ـ ولو كان الكفر مبيحاً للقتل لما قبل الرسول ﷺ التحكيم في بني قريظة ولكان الإكراه على الدين جائزاً ولما جاز قبول الجزية.

وقد صرّح جمهور الفقهاء ـ المالكية والحنفية وأكثر الشافعية والحنابلة ـ بأن مناط الجهاد الاعتداء لا الكفر، فلا يقتل شخص لكفره وإنما يقتل لاعتدائه على المسلمين، وطرق الاعتداء والمحاربة لها صور كثيرة، ولكي ندرك صحّة هذا القول أنقل ما قاله الأئمة رحمهم الله:

1 ـ جاء في مغني المحتاج 210/4: «وجوب الجهاد وجوب الوسائل لا المقاصد إذا المقصود بالقتال إنما هو الهداية وما سواها من

الشهادة، وأما قتل الكفار فليس بمقصود حتى لو أمكن الهداية بإقامة الدليل بغير جهاد كان أولى من الجهاد».

2 ـ قال الكمال بن الهمام في فتح القدير 277/4 : «المقصود من القتال هو إخلاء العالم من الفساد».

3 ـ قال الحنفية كما في اختلاف الفقهاء للطبري 195 : «الآدمي معصوم ليتمكن من حمل أعباء التكليف وإباحة القتل عارض سمح به لدفع شره».

وقالوا: «الكفر من حيث هو الكفر ليس علة لقتالهم».

4 ـ قال مالك: «لا ينبغي لمسلم أن يهريق دمه إلا في حق، ولا يهريق دماً إلا بحق».

5 ـ قال الحنابلة كما في القواعد لابن رجب 338 : «الأصل في الدماء الحظر إلا بيقين الإباحة».

6 ـ قال كمال بن الهمام: «في قوله تعالى ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ فأفاد أن قتالنا المأمور به جزاء لقتالهم ومسبب عنه» فتح القدير 279/4.

7 ـ قال ابن تيمية في رسالة القتال ص 126/123 : «لا إكراه في الدين» جمهور السلف على أنها ليست بمنسوخة ولا مخصوصة، وإنما النص عام فلا نكره أحد على الدين. والقتال لمن حاربنا، فإن أسلم عظيم ماله ودمه، وإذا لم يكن من أهل القتال لا نقتله ولا يقدر أحد

قط أن ينقل أن رسول الله ﷺ أكره أحداً على الإسلام لا ممتنعاً ولا مقدوراً عليه ولا فائدة في إسلام مثل هذا، لكن من أسلم قُبِل منه ظاهر الإسلام. وأضاف «أنه من الثابت المقرر أن النبي ﷺ قد أسر من المشركين، فمنهم من فداه ومنهم من أطلق سراحه ولم يكره أحداً على الإسلام، ولوكان القتال لأجل الكفر ما كان لهؤلاء إلا السيف. والقرآن خيّر المسلمين حين يثخنون في الأعداء بين المنّ على الأسرى والفداء».

ـ وقال أيضاً: «وكانت سيرته ﷺ أن كل من هادنه من الكفار لم يقاتله (أي سواء أكان من مشركي العرب أم من غيرهم، وهذه كتب السيرة والحديث والتفسير والفقه والمغازي تنطق بهذا وهذا متوافر من سنّتِه. فهو لم يبدأ أحداً من الكفار بقتال ولو كان الله أمره بقتل كل كافر لكان يبتدئهم بالقتل والقتال».

ـ وقال أيضاً: «فإباحة القتال من المسلمين مبنية على إباحة القتال من غيرهم».

8 ـ وقال ابن القيم في الزاد 58/2: «وفرض القتال على المسلمين لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم».

فمن خلال ما تقدّم يظهر أن المسلم يقاتل بسبب القتال والاعتداء والمنع من نشر الدعوة وفتنة الناس عن دينهم بالقوة، وكذا اضطهاد المستضعفين من المسلمين لا من أجل مجرد الكفر.

فالإسلام لا يقاتل من أجل إكراه الناس على الإسلام، ولكن ليمنحهم حرية المعرفة واختيار ما يقتنعون به، ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. والأكثر من ذلك أن القتال ليس أمنية للمسلم من حيث الأصل لقوله ﷺ «لا تتمنوا لقاء العدو..»، ولكن إذا اعتدى الطغاة على الرعية والدعاة وشهروا سلاح القمع والتنكيل لفتنة الناس، فعلى المسلم الحق أن يجود بماله ونفسه في سبيل العقيدة غير هيّاب ولا وجل، ويصارع الباطل فيصرعه ويدمغه، ويحرض إخوانه على الجهاد والاستشهاد والإعداد حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل. وهذا المعنى يجعلنا نقول أن الأصل هو السلم، والجهاد والقتال هو الضرورة والاستثناء فهو بمثابة آخر الطب الكيّ، وهو لون من ألوان العلاج التي يقصد بها الرحمة وإن كان ظاهر أمره قسوة وعنف وأشلاء ودماء ودموع.

1 - قال محمد بن عبد الرحمن البخاري في كتاب محاسن الإسلام ص 71: «فنفس القتال وإن كان فيه ذم الكفرة ومدح الشهداء، إفساد لهذه البنية الإنسانية، فقد تضمن إصلاحاً وإحياءً وإعلاءً، فكان صلاحاً باعتبار عاقبته والأمور بعواقبها، كالحجامة، والفصد، والزراعة إفساد بصورتها لكن لما آلت إلى الصلاح، جعلت إصلاحاً باعتبار المآل، ثم القتال شرع لدفع شر الكفرة عن أهل الإسلام، إذ هم أعداء دين الله، فإن أمكن الدفع بدون القتال لا يتسارع إلى القتل وإلا فحينئذ تقدم على القتال».

2 ـ قال الإمام الدهلوي في حجة الله البالغة 784/2 : «اعلم أنَّ أتم الشرائع وأكمل النواميس هو الشرع الذي يؤمر فيه بالجهاد، وذلك لأنَّ تكليف الله عباده بما أمر ونهى مَثَلُه كمثل رجلٍ مَرِضَ عبيدُه فأمر رجلاً من خاصته أن يسقيهم دواءً، فلو أنه قهرهم على شرب الدواء وأَوْجَرَه في أفواههم لكان حقاً، لكن الرحمة اقتضت أن يبين لهم فوائد الدواء ليشربوه على رغبة فيه، وأن يخلط معه العسل لتتعاضد فيه الرغبة الطبيعية والعقلية. ثم إن كثيراً من الناس تغلبُ عليهم الشهوات الدنية والأخلاق السبعية ووساوسُ الشيطان في حبِّ الرياسات، ويلصق بقلوبهم رسوم آبائهم، فلا يسمعون تلك الفوائد، ولا يُذْعنون لما يأمر به النبي ﷺ ولا يتأملون في حسنه. فليست الرحمة في حق أُولئك أن يقتصر على إثبات الحجة عليهم بل الرحمة في حقهم أن يقهروا ليدخل الإيمان عليهم على رغم أنفهم بمنزلة إيجار الدواء المر ولا قهر إلا بقتل مَنْ له منهم نكاية شديدة وتمنُّع قوي، أو تفريق منعتهم وسَلْبِ أموالهم حتى يصيروا لا يقدرون على شيء، فعند ذلك يدخل أتباعهم وذراريهم في الإيمان برغبةٍ وطوع».



إخوتي الكرام الأفاضل:

أكتفي بهذا القدر من البيان فيما يخص التذكير بفضل الجهاد في سبيل الله مع بيان المسوغات الشرعية له والتي تتمثل في رد الاعتداء وحرية نشر الدعوة وتأمين طريقها ونصرة المسلمين المستضعفين وكسر شوكة الأنظمة الطاغوتية التي تحكم الشعوب بسياسة الحديد والنار. كما أنهيت هذه المقالة بالجواب عن سؤال هام وهو هل القتال من أجل الكفر أو من أجل الاعتداء والفتنة؟ وأن الصواب في المسألة إنما هو من أجل القتال والاعتداء وفتنة الناس عن دينهم.

أرجو من الله أن تنتفعوا بهذه المقالة المتواضعة والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ولنا عودة أخرى - إن شاء الله - في الأيام المقبلة..

أخوكم ومحبكم في الله أبو عبد الفتاح

سجن البليدة العسكري بتاريخ 1993/3/20.

الرسالة الثانية

المقال المختصر الوضّاح
في أن الموت والإعدام
لا يلحق الأرواح

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

وبعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، أعاذنا الله منها.

أخي المسلم يطيب لي أن أفتتح هذه الرسالة بالسؤال الآتي:

هل الموت عدم محض
وهل الأرواح تفنى بالموت أو بالإعدام ؟!

مما لا شك فيه أن الإجابة على هذا السؤال المهم الخطير تتطلب بحثاً واسعاً ومجلداً ضخماً لأهمية هذا الموضوع لاسيما وهو يتعلق بأصل عظيم من أصول العقيدة الاسلامية ألا وهو الإيمان باليوم الآخر.

لقد أيقنت بعد دراسة هذا الموضوع من جميع جوانبه - بفضل الله - أن الموت ليس بعدم محض وإنما هو نقلة من دار الفناء الى دار البقاء، كما أيقنت بقوة الأدلة الشرعية أن الروح مخلوقة ولكن لا يلحقها الموت أو الفناء، وهذه العقيدة التي استقرت في أعماق نفسي أمدتني شجاعة في مواجهة الظلمة والطواغيت، كما أدركت أن ضعف هذه العقيدة الهامة أو جهلها يولد الجبن والخوف والتخاذل في قلوب المسلمين

وبالتالي يتقاعسون على نصرة الحقّ، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا القعود عن الجهاد في سبيل الله تعالى.

اعلم أخي المسلم أن الدافع على كتابة هذه المقالة هو إثبات أن الإعدام والقتل والموت ليس بعدم محض وأن الروح لا تموت ولا تفنى وسَوْق الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح لا سيما وقد رمانا النظام الكافر الغاشم بتهم تستوجب الإعدام ظلماً وعدواناً.

والآن لنقم الأدلة على حياة الروح:

أولاً: دليل حياة الروح بعد مفارقة البدن:

لإثبات ذلك يحسن بنا أن نتحدث عن أمرين هما:

أ ـ الروح مخلوقة من مخلوقات الله تعالى:

ضل قوم فزعموا أن الروح قديمة والصحيح كما تدل عليه النصوص الشرعية أنها مخلوقة، قال تعالى: ﴿الله خالق كل شئ﴾ وهذا عام لا تخصيص فيه، وقوله تعالى: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ والإنسان كما هو معلوم إسم للروح والبدن معاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«الإنسان عبارة عن البدن والروح معاً بل هو بالروح أخص منه بالبدن وإنما البدن مطية للروح كما قال أبو الدرداء: إنما بدني مطيتي» - مجموع الفتاوى 222/4 -

قال ابن أبي العز الحنفي:

«فقيل: الروح قديمة، وقد أجمعت الرسل على أنها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبّرة وهذا معلوم بالضرورة من دينهم أن العالم محدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة... واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة، وممن نقل الإجماع على ذلك محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة وغيرهما.» - الطحاوية 391 -

ب - الروح لا تموت:

الأدلة الشرعية على أن الروح لا تموت ولا تفنى بمفارقة البدن أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وسيأتي بعضها إن شاء الله تعالى:

قال ابن تيمية:

والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان».

- مجموع الفتاوى 279/4 -

قال ابن أبي العز:

واختلف الناس: هل تموت الروح أم لا ؟ فقالت طائفة تموت لأنها نفس وكل نفس ذائقة الموت وقد قال تعالى: ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ وقال تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت فالنفس البشرية أولى بالموت، وقال آخرون: لا تموت الأرواح فإنما خلقت للبقاء وإنما تموت الأبدان. قالوا: وقد دلّ على ذلك الأحاديث الدالّة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها، والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وإن أريد أنها تعدم وتعدم بالكلية فهي لا تموت بهذا الإعتبار - بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب كما سيأتي إن شء الله تعالى وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى﴾ وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد وأما قول أهل النار ﴿ربنا أمَتّنَا اثنتين وأحْيَيْتنا اثنتين﴾ وقوله تعالى ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحْياكم ثم يُميتكم ثم يُحْييكم﴾ فالمراد أنهم كانوا أمواتاً وهم نطف في أصلاب آبائهم في أرحام أمهاتهم ثم أحياهم بعد ذلك ثم أماتهم ثم يحييهم يوم النشور وليس في ذلك إماتة أرواحهم قبل يوم القيامة. وإلا كانت ثلاث موتات.وصعق الأرواح عند النفخ في الصور لا يلزم منه موتها.) - الطحاوية 396 -

ثانياً: دليل الحياة البرزخية:

من الأدلة على حياة الروح إثبات الحياة البرزخية، قال تعالى: ﴿ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون﴾ والبرزخ عند جماهير العلماء هو الدار التي تعقب الموت فقد جاء في تفسير مجاهد قوله: «هو ما بين الموت والبعث» وقيل للإمام الشعبي مات فلان. قال: ليس هو في دار الدنيا ولا في الآخرة» وذلك أن الدور ثلاث.

قال ابن أبي العز:

إن الدور ثلاث: دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركّب هذا الإنسان من بدن ونفس وجعل أحكام الدنيا على الأبدان والأرواح تبع لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فإذا جاء يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً.» ـ الطحاوية 400 ـ

ثالثاً: دليل إثبات عذاب القبر ونعيمه:

الأدلة على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة الصريحة مما يدل دلالة قاطعة على أن الموت ليس بعدم محض وأن الروح لا تموت ونظراً لكثرة الأدلة أقتصر على ما يلي:

أ ـ أدلة القرآن الكريم:

1 ـ قال تعالى: ﴿ وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾.

قال الإمام القرطبي: «الجمهور على أن هذا العرض يكون في البرزخ وهو حجة في تثبيت عذاب القبر».

2 ـ قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾. ففي الحديث الذي رواه البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ﴾ نزلت في عذاب القبر» ـ البخاري ـ

3 ـ قال تعالى: ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون ﴾

وهذه الآية الكريمة من الأدلة القاطعة في إثبات عذاب القبر.

4 ـ قال تعالى: ﴿ومن أهـل المدينة مردوا علـى النفـاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرّتين ثم يردّون إلى عذاب عظيم﴾.

قال الحسن البصري: «سنعذبهم مرتين عذاب الدنيا وعذاب القبر».

قال الطبري: «والأغلب أن إحدى المرتين عذاب القبر والأخرى يحتمل أحد ما تقدم ذكره من الجوع أو السبي أو القتل أو الإذلال أو غير ذلك».

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿ولنُذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾ قيل العذاب الأدنى هو عذاب القبر، والعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة.

5 ـ قال تعالى: ﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون * وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾.

وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وأن يراد به عذابهم في البرزخ وهو أظهر لأن كثيراً منهم مات ولم يعذب في الدنيا أو المراد أعمّ من ذلك.

قال ابن أبي العز:

وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على

كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه يأتي بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا فالروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام.

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث: تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد وهو أكمل أنواع تعلقها، بالبدن ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه إذ هو تعلق لا يقبل معه موت ولا نوم ولا فساد. فالنوم أخو الموت فتأمل هذا يزح عنك إشكالات كثيرة. ـ الطحاوية 399 ـ

ب ـ أدلة السنة النبوية:

أما الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من السنّة الصحيحة فهي كثيرة إليك بعضها مما يدل دلالة قاطعة أن الموت ليس بعدمٍ محض ويدل دلالة قاطعة على حياة الروح بعد مفارقتها للبدن.

1 ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إنّ أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما، ولم أنعم أن أصدقهما فخرجتا، ودخل رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله! إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا عليّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم. قالت: فما رأيته بعد في صلاة إلاّ يتعوّذ من عذاب القبر» ـ مسلم ـ

2 ـ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجّار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبُر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟ فقال رجل: أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال ماتوا في الإشراك، فقال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.» ـ مسلم ـ

3 ـ عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس فسمع صوتاً، فقال: يهود تعذب في قبورها» ـ البخاري ـ

4 ـ قال عليه الصلاة والسلام «إن هذه القبور مليئة ظُلْمَة على أهلها وإن الله عز وجل منوّرُها لهم بصلاتي عليهم». ـ البخاري

5 ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «إنّ للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ». ـ أحمد بسند صحيح ـ

6 ـ عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه انه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله.. وأما الكافر أو المنافق فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال: لا دريت ولا تليت..». ـ البخاري ومسلم ـ

7 ـ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله. ثم قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره باثنين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: لعله يخفف عنهما مالم ييبسا». ـ البخاري ومسلم ـ

8 ـ عندما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل عليه صهيب يبكي يقول وا أخاه وا صاحباه، فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول الله ﷺ «إنّ الميّت يعذّب ببعض بكاء أهله عليه». ـ البخاري ومسلم ـ

9 ـ قال رسول الله ﷺ: «إذا تشهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول اللّهم إنّي أعوذ بك من عذاب جهنّم ومن عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات». ـ مسلم ـ

10 ـ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها يا ويلها أين تذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلاّ الإنسان ولو سمع الإنسان لصعق». ـ البخاري ـ

11 ـ عن راشد بن سعد عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: «يارسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلاّ الشهيد؟ قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة». ـ النسائي بسند صحيح ـ

12 ـ عن فضالة بن عبيد عن رسول الله ﷺ قال «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله؟ فإنه ينمى له عمله يوم القيامة ويأمن فتنة القبر». ـ الترمذي بسند صحيح ـ

رابعاً: دليل الحياة الخاصة بالشهداء:

لا شك أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ولا تحسبنّ الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾ وقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾، وجاء في الحديث الصحيح أنّ «أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلّقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل» - رواه مسلم -

بينما قال في شأن روح المؤمن الصالح أن روحه «إنما نسمة المسلم طير يعلّق في شجر الجنة حتى يرجعها الله في جسده إلى يوم القيامة» - رواه أحمد -

قال ابن أبي العز:

«وأمّا الحياة التي اختصّ بها الشهيد وامتاز بها عن غيره.. فإنهم لما بذلوا أبدانهم لله عز وجل حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها في البرزخ أبداناً خيراً منها تكون فيها إلى يوم القيامة ويكون تنعمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من تنعم الأرواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير، أو كطير ونسمة الشهيد في جوف طير» - الطحاوية ص 404 -

فائدة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«أرواح المؤمنين في الجنة وإن كانت مع ذلك قد تعاد إلى البدن كما أنها قد تكون في البدن ويعرج بها إلى السماء كما في حال النوم، أما كونها في الجنة ففيه أحاديث عامة وقد نص على ذلك أحمد وغيره من العلماء واحتجوا بالأحاديث المأثورة العامة وأحاديث خاصة في النوم وغيره.... ومع كونها في الجنة فإنه يبقى لها تعلق بالجسد، كحال الإنسان في النوم، فإنها تجول في ملكوت السموات والأرض مع أنها لها تعلق بالجسد، وفقه هذا مبني على معرفة أن الروح مخالفة للأجساد وللمعهود من حال المخلوقات الدنيوية». - مجموع الفتاوى 446/5 وما بعدها -

وقال أيضاً:

ومع ذلك تتصل بالبدن متى شاء الله تعالى وهي في تلك اللحظة بمنزلة نزول الملك وظهور الشعاع في الأرض وانتباه النائم.

تلك أخي المسلم بعض الأدلة الشرعية الدالة دلالة قاطعة لا شك فيها ولا ريب أن الأرواح لا تموت بمفارقة الأشباح، وأن الموت ما هو إلا نقلة من دار إلى دار أخرى وهذه عقيدة هامة من عقائد أهل السنة والجماعة وما كان عليه سلف هذه الأمة بل أكاد أن أجزم القول أن هذه العقيدة من جملة تلك العقائد الحقّة التي فجّرت منابع الشجاعة الخارقة في جيل الصحابة وأتباعهم في كل عصر ومصر وإذ كانوا يستلذون

الموت في سبيل العقائد الحقة بقلوب تخفق بالشوق إلى لقاء الله تعالى. فما أحرانا في هذا الوقت العصيب أن نحيي هذه العقيدة في قلوب المؤمنين ليتحركوا لنصرة دينه والفرحة تغمر قلوبهم والبسمة تعلو وجوههم ويعزّ عليّ أن أختم هذه المقالة دون ضرب أمثلة حيّة لثبات العلماء عند الشدائد خاصة عندما يُهددون بالإعدام أو السجن.

أمثلة من ثبات العلماء:

1 ـ كان البطال رأس الشجعان والأبطال وكان مقره بأنطاكية أوطأ الروم خوفاً وذلاً ولما سقط مجروحاً جاءه الملك ليون فقال يا يحيى كيف رأيت ؟ قال وما رأيت ؟ كذلك الأبطال تقتل وتُقتل ولم يتراجع أو يتنازل.

2 ـ وهذا الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة وكان شاباً صالحاً قانتاً لله عالماً فقيهاً كبير القدر واعظاً، قتله الحجاج بن يوسف لأنه طلب منه أن يدلّ على إبراهيم النخعي فقال أنا إبراهيم ولم يستحلّ أن يدلّ عليه فأمر بحبسه وظل ثابتاً إلى أن مات وعمره 40 سنة ذلك هو إبراهيم بن يزيد وهو القائل «إنّ الرجل ليظلمني فأرحمه».

3 ـ ثبت أنّ الإمام الحجة القدوة الربّاني عبد الرحمن بن أبي أنعم كان يمكث جمعتين لا يأكل، أنكر ذات يوم على الحجاج كثرة القتل

فهمّ به يريد به السوء فقال له بكل ثبات وشجاعة «من في بطنها أكثر ممن على ظهرها».

4 ـ كان أحمد بن نصر من أهل الدين والصلاح والأمّارين بالمعروف امتحنه الخليفة الواثق بالقرآن فأبى أن يقول أنه مخلوق فشتمه الواثق فما كان من هذا الإمام الحجة إلاّ ردّ عليه بكل شجاعة فضرب عنقه وصلبه.

5 ـ وهذا الإمام الجبل أحمد بن حنبل عوتب على صلابته وعدم أخذه بالرخصة في قضية خلق القرآن فقال لمن عاتبه وهو ثابت رغم التعذيب والتضييق والحبس لست أبالي بالحبس ما هو إلاّ منزلي واحد، ولا قتلاً بالسيف.

6 ـ وكتب بعض الإخوان للشيخ ابن تيمية يشيرون عليه بالموافقة والمجاراة والمداهنة لخصومه ليتخلص من السجن فقال في رسالة ردّ بها عليهم «فقد وصلت الورقة التي ذكر فيها الشيخان الناسكان ما ذكرا جعلهما الله من الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان واعلموا أن الله ناصرٌ حزبه ومنجز وعده ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمن ولكن بما اقتضت حكمته ومضت به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به بين أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان».

7 ـ وهذا السيد قطب عندما طلب منه بعض التساهل ليستفيد من العفو قال «إن اصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية

تأبى أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية» وأُعدم ظلماً وعدواناً.

8 ـ وهذا بديع الزمان سعيد النورسي يقف أمام المحاكمة بعد أحداث 31 مارس 1909 وسبب هذه الأحداث التي تتمثل في عصيان عسكري دام أحد عشر يوماً قام به الجنود ضد ضباط الاتحاديين لا سيما بعد أن أحسّ الشعب ببعد جمعية الاتحاد والترقي عن الدين وعلاقتهم الوطيدة بالماسونيين واليهود، وإشاعة هذه الجمعية الخوف والإرهاب وبيعها «البوسنة والهرسك» لأعداء الإسلام وكذا تصفية الجيش من العناصر المسلمة فثار الجيش وحبسوا ضباطهم وساد جوّ من الهرج راح ضحيته بعض الأشخاص وكان الجنود يهتفون نريد الشريعة.. فما كان من الاتحاديين إلا أن أرسلوا جيشاً بقيادة «محمود شوكت باشا» لقمع العصيان وإعادة سلطة الاتحاديين الكفرة وسيطر على الوضع وعزل السلطان عبد الحميد وأعلنت الأحكام العرفية وشكلت محكمة عسكرية لمحاكمة المسؤولين عن هذه الحادثة.

وكان ممن قدم للمحاكمة سعيد النورسي بعد أن شنق على الاعواد خمسة عشر رجلاً، بدأ الحاكم العسكري «خورشيد باشا» بمحاكمة بديع الزمان قائلاً له: وأنت أيضاً تدعو إلى تطبيق الشريعة؟ إن من يطالب بها يشنق هكذا (مشيراً بيده إلى المشنوقين).

فقام بديع الزمان بكل ثبات وجسارة متحدياً المحكمة قائلاً:

«لو أنّ لـــي ألف روح لما ترددت أن أجعلهـــا فداءً لحقيقـة واحدة من حقائق الإســـلام... فقد قلت أنني طـالب علم لذا فأنا أزن كل شـــيء بميزان الشـــريعة، إنني لا أعترف إلا بملة الإسـلام أنني أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذي تسمونه «السجن» في انتظار القطار الذي يمضـي بي إلى الإخــوة لا لتسمعوا أنتم وحدكـــم بل ليتناقله العالم كله ألا قد حــان للســـرائر أن تنكشف وتبدو من أعماق القلب فمن كان غير محــرم فلا ينظر إليها: إنني متهيء بشـــوق لقدومي للآخـرة... وأنا مستعد للذهــاب مع هؤلاء الذين علقـوا على المشـــانق... تصـــوروا ذلك البدوي الذي ســـمع عن غرائب استانبـول ومحاسنهـــا واشـــتاق إليهـــا. إنـــي مثله تماماً في شـوقي إلى الآخـرة والقدوم إليها، إن نفيكم إيـــاي إلى هنـاك لا يعتبر عقوبة.. إن كنتم تســـتطيعـون فعاقبوني المعـاقبة الوجـدانية. لقد كانت هذه الحكومة تخاصـــم العقل أيام الاستبداد، والآن فإنها تعادي الحياة..

وإذ كانت هذه الحكومة هكذا..

فليعش الجنون..

وليعش الموت..

وللظالمين فلتعش جهنم»

فحكم عليه بالبراءة، فقوله الحق المرّ لم يقدم أجلاً ولم يؤخر رزقاً فلا نامت أعين الجبناء، لقد كان يعتبر الإعدام في سبيل المبادئ الحقة جواز سفر للآخرة.

أكتفي بهذه القطرة من ذلك البحر الذي لا ساحل له من مواقف العلماء الأفذاذ والأبطال المغاوير في ثباتهم على تكاليف لا إله إلاّ الله محمد رسول الله التي عليها وبها نحيا، وعليها ومن أجلها نموت وفي سبيل إقامة حقائقها نجاهد وبها نلقى الله عز وجل.

كتبها المعتز بدين الله

سجين السجن العسكري بالبليدة يوم 1993/4/14.

الرسالة الثالثة

الجــواب على ســـؤالين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل ﴿ وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين ﴾ والصّلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل «من يرد الله به خيراً يفقه في الدين» وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تمهيد

أخي الفاضل الكريم لقد وصلتني تلك الأسئلة الكثيرة والمراد مني الإجابة عنها بتفصيل وتدقيق، غير أنني أقول ـ بكل أسف ـ أنني لا أقدر على الإجابة على كل تلك الأسئلة، إذ بعضها يحتاج إلى وقت وبحث ومصادر كثيرة، ولقد تعوّدت على أن لا أُجيب على المسائل التي يقع فيها الخلاف بين أهل العلم إلا بعد التمحيص والتدقيق، ذلك لأنه جرى العمل عند أهل العلم أنه لا يجوز الإجابة على القضايا المطروحة إلا بعد معرفة الخلاف فيها. قال قتادة «من لم يعرف الاختلاف لم يشم

الفقه بأنفه»، وقال آخر «من لم يسمع الاختلاف فلا تعدوه عالماً»، وقال عثمان بن عطاء عن أبيه قوله «لا ينبغي لأحد أن يفتي الناس حتى يكون عالماً باختلاف الناس، فإنه إن لم يكن كذلك، ردّ من العلم ما هو أوثق من الذي في يديه»، وقال أيوب السختياني «أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً باختلاف العلماء، وأمسك الناس عن الفتيا أعلمهم باختلاف العلماء.» ولذلك أقول مرة أخرى - مع الأسف - انني لا أجيب على معظم تلك الأسئلة وإنما سوف أقتصر على سؤالين أسأل الله تعالى السداد والرشاد. آمين.

ولكن ليكن في علمك أخي الكريم انني لا أتوانى لحظة واحدة من ليل أو نهار في محاولة الإلمام بما وقع في تلك المسائل من خلاف لمعرفة الراجح عند أهل العلم فيها، وذلك حتى لا أخرج من دائرة السلف بإحداث رأي لم أسبق إليه فأكون قد وقعت في بدعة منكرة - لا سمح الله -.

وهناك ناحية أخرى تتعلق بظروف السجن وجوّ الحراسة المشددة حتى لا تتسرب أي رسالة خارج السجن. والله المستعان وعليه التكلان.

والآن أخي الفاضل أشرع في الإجابة على بعض تلك الأسئلة مستعيناً بالله تعالى وحده، وكل قول يخالف الكتاب والسُّنّة فأنا راجع عنه في حياتي وبعد مماتي كما قال الشافعي.

السؤال الأول

لا شك أيها الأخ الكريم أنه بلغك حجم القمع الذي سُلِّط على إخواننا منذ مقدم بوضياف بعد إلغاء المسار الإنتخابي الذي فازت فيه الجبهة الإسلامية في الدور الأول، والذي جرى في جوِّ الهدوء والوضوح، وهذه حقيقة يقر بها النظام نفسه، ويشهد لها حتى الخصوم في الداخل والخارج، إذ لم ترق قطرة دم واحدة، إذ أنه بمجرد ما حطَّ بوضياف رجله في الجزائر حتى تزايد القمع والتعذيب والاعتداء على الإخوة وكثرت الانتهاكات الخطيرة لحقوق الشعب وخاصة الشباب المسلم الموحِّد الذي خاض معركة الإنتخاب بجدارة، فكان النصر حليفه بعون الله تعالى. ولا شك أنك سمعت أيضاً بالمحتشدات التي فتحت للشباب المسلم في قلب الصحراء اللاهبة وفي أماكن كانت فرنسا الاستعمارية تقوم فيها بالتجارب النووية. في ضوء هذا الجو المشحون بالظلم والفتنة في الدين اختلف بعض الإخوة في حكم الانغماس في قوات العدو من أجل النكاية فيه وردعه. فمن قائل بالمنع، وأن هذا العمل هو إلقاء بالنفس إلى التهلكة. ومن قائل بالجواز فما هو

القول الصواب والأرجح مع ذكر الأدلة الشرعية حتى إذا أقدمنا على عمل أقدمنا على بيِّنة ودراية من ديننا ؟!.

الجواب

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين. أخي المسلم الكريم نظراً لحرصكم على معرفة جواب المسألة بالأدلة الشرعية، وهذا يبشِّر بخير عميم، إذ المسألة لم تعد اتباع للأشخاص دون بصيرة. فالشخص يحترم بقدر خدمته للدين على هدى من الله تعالى فقط، فإذا زاغ أو قال بقول لا دليل عليه لا يُسمع له، وهذا هو منهج أهل العلم من سلفنا الصّالح قديماً وحديثاً.

لا شك أن هذه المسألة وقع فيها الخلاف عند أهل العلم، فمنهم القائل بالمنع ومنهم القائل بالجواز، وسوف أُحاول الإجابة على هذه المسألة بشيء من التفصيل كما طُلب مني، وذلك من خلال النقاط التالية:

1 - دليل القائلين بالمنع:

القائلين بالمنع تمسكوا بجملة من الأدلة منها قوله تعالى ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ وهو أقوى ما تمسكوا به فيما أعلم.

ولكي يتضح الأمر أكثر فأكثر، فننظر إلى فهم الصحابة إلى هذه الآية القرآنية الكريمة. وهل فهم السلف الصالح ذلك أم لا ؟.

أ ـ عن مدرك بن عوف الأحمسي، قال: كنت عند عمر رضي الله عنه إذ جاءه رسول النعمان بن مقرن الذي استشهد بنهاوند سنة 21هـ. فسأله عمر عن الناس. فقال: أصيب فلان وفلان وآخرون لا أعرفهم، فقال عمر رضي الله عنه: لكن الله يعرفهم، فقال يا أمير المؤمنين: ورجل شرى نفسه، فقال مدرك بن عوف: ذاك والله خالي يا أمير المؤمنين، زعم الناس أنه ألقى بيده إلى التهلكة. فقال عمر: كذب أولئك، ولكن ممن اشترى الآخرة بالدنيا.

ب ـ عن البراء رضي الله عنه قال: قال رجل يا أبا عمارة! قوله تعالى ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ أهو الرجل يلقى العدو، فيقاتل حتى يقتل؟ قال: لا، ولكنه الرجل يذنب الذنب فيقول لا يغفره الله لي. قال الحاكم صحيح على شرطهما.

جـ ـ عن أبي إسحاق السبيعي قال: قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنه إن حملت على العدو وحدي فقتلوني، أكنت ألقيت بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا قال الله لرسوله ﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك** ﴾ إنما هذه في النفقة.

وفي رواية قال أبو اسحاق سمعت البراء وسأله رجل عن الآية ﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾ هو الرجل يحمل على الكتيبة وهم ألف والسيف بيده؟ قال: لا، ولكنه رجل يصيب الذنب فيلقي بيده ويقول لا توبة لي.

د ـ عن أبي عمران قال: كنّا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم وأكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحان الله يلقي بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: أيها الناس إنكم لتؤولون هذا التأويل وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرّاً دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلما أقمنا في أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلنا ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ وكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. رواه أبو داود والترمذي، حسن صحيح.

هـ ـ عن القاسم بن مخيمرة أحد أئمة التابعين وأعلامهم أنه قال في قوله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ قال: التهلكة ترك النفقة في سبيل الله ولو حمل الرجل على عشرة آلاف لم يكن بذلك بأس.

ومن هذا العرض السريع يتضح بجلاء جواز ذلك، وأنه ليس من التهلكة، ولكن أزيد الأمر وضوحاً أكثر حتى تطمئن القلوب إن شاء الله تعالى وذلك بعرض أدلة القائلين بالجواز.

2 ـ دليل القائلين بالجواز:

1 ـ قال تعالى: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ ومعنى يشري: أي يبيع. قيل أنها نزلت في صهيب الرومي عندما آمن بالرسول ﷺ وأقبل مهاجراً إليه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتشل ما في كنانته وأخذ قوسه وقال لقد علمتم أني أرماكم، وأيم الله لا تصلون إليّ حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم. قالوا لا نتركك تذهب عنا غنياً وقد جئتنا صعلوكاً ولكن دلنا على مالك بمكة ونخلي عنك. وعاهدوه على ذلك ففعل. فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت الآية فقال له رسول الله: ربح البيع أبا يحيى. وتلا هذه الآية.

قال ابن كثير: وأما الأكثرون فحملوا ذلك، على أنها نزلت في كل مجاهد في سبيل الله.

أ ـ ولما حمل هشام بن عامر الأنصاري بين الصفين أنكر عليه بعض الناس فرد عليهم عمر بن الخطاب وأبو هريرة وغيرهما. وتلوا هذه الآية. أنظر تفسير القرآن العظيم 247/1.

قال ابن عباس: (أي قد شروا أنفسهم من الله بالجهاد في سبيله والقيام بحقه حتى هلكوا على ذلك).

ب ـ وعن ابن عوف أن محمداً قال: جاءت كتيبة من قبل المشرق من كتائب الكفار فلقيهم رجل من الأنصار فحمل عليهم فخرق الصف

حتى خرج ثم كر راجعاً. فصنع مثل ذلك مرتين أو ثلاثاً، فإذا سعد بن هشام يذكر ذلك لأبي هريرة. فتلا هذه الآية.

ج ـ عن المغيرة بن شعبة قال كنا في غزاة فتقدم رجل فقاتل حتى قُتل. فقالوا: ألقى هذا بيده إلى التهلكة، فكتب فيه إلى عمر رضي الله عنه، فكتب عمر رضي الله عنه ليس كما قالوا هو من الذين قال الله فيهم ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

2 ـ قوله تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ فالآية توجه الخطاب إلى الرسول ﷺ بأن يجاهد في سبيل الله ولو كان وحيداً ولم يخرج أحد غيره فإنه لا يحمل في الجهاد إلا تبعه شخصه. أما الأحاديث في هذا الباب فهي كثيرة.

3 ـ أ ـ عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال «عجب ربنا من رجلين وذكر.. ورجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع، فرجع حتى يهرق دمه فيقول الله انظروا إلى عبدي رجع رجاء فيما عندي وشفقة مما عندي حتى يهرق دمه» أخرجه أحمد ابن حبان وأبو داود وقال أحمد شاكر صحيح.

ب ـ عن أنس بن مالك «أنّ رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش. فلما رهقوه قال من يردهم عنا وله الجنة أو هو رفيقي في الجنة؟ فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال النبي ﷺ ما أنصفنا أصحابنا» رواه مسلم راجع ما قيل في انصفنا عند شراح الحديث. من كتاب الجهاد باب الجهاد والسير.

ج ـ عن أبي بكر بن أبي موسى قال: «سمعت أبي وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله ﷺ «إنّ أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» فقام رجل رثّ الهيئة فقال يا أبا موسى! أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا؟ قال نعم. فرجع إلى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام، ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه إلى العدو فضرب به حتى قتل» رواه مسلم.

د ـ جاء أيضاً في صحيح مسلم «أن الرسول ﷺ عندما قال في غزوة بدر «قوموا إلى جنّة عرضها السموات والأرض» قال عمير بن الحمام يا رسول الله جنّة عرضها السموات والأرض. قال نعم. قال: بخ بخ. فقال رسول الله ﷺ ما يحملك على قولك بخ بخ. قال لا والله إلا رجاء أن أكونْ من أهلها. قال فإنك من أهلها. فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن. ثم قال إن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل».

هـ ـ ومن الأدلة القوية الحديث الذي رواه مسلم بطوله في كتاب الجهاد والسِيَر باب غزوة ذي قرد بطوله قصة سلمة بن الأكوع مع الأخرم الأسدي.

قال النووي 12/186 «ومنهما ما كانت الصحابة رضي الله عنهم من حب الشهادة والحرص عليها ومنها إلقاء النفس في غمرات القتال وقد اتفقوا على جواز التغرير بالنفس في الجهاد في المبارزة ونحوها».

و ـ وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر يافقال يارسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين. لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون فقال اللهم أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني الصحابة ـ وأبرأ إليك من صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها دون أحد. قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أُخته ببنانه. فقال أنس كنا نرى أو نظنّ أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه من المؤمنين ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه...﴾. هذا لفظ البخاري

قال الحافظ في فتح الباري 6/23 «وفي قصة أنس بن النضر من الفوائد جواز بذل النفس في الجهاد وفضل الوفاء بالعهد ولو شق على النفس حتى يصل إلى إهلاكها وأن طلب الشهادة في الجهاد لا يتناوله النهي عن الإلقاء إلى التهلكة».

ى ـ في الحديث ثلاثة يحبهم الله وثلاثة يشنؤهم الله الرجل يلقى العدو في فئة فينصب (أي فيرفع) لهم نحره (أي أعلى صدره) حتى يقتل أو يفتح لأصحابه. انظر صحيح الجامع 2/17.

وفي الحديث «عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه فيقول الله عز وجل

لملائكته انظروا إلى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عليه حتى أهريق دمه» صحيح الجامع 2/19 .

ش ـ عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل أو الموت مظانه» رواه مسلم .

ز ـ قال معاذ بن عُفراء «يارسول الله ما يضحك الرب من عبده؟ قال غمسه يده في العدو حاسراً قال فألقى درعاً كانت عليه وقاتل حتى قتل» رواه في مصنف ابن أبي شيبة .

ر ـ عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال «ثلاثة يحبهم الله. فذكر أحدهم رجل كان في سرية فلقوا العدو فهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له» الحاكم .

هذه بعض الأحاديث الصحيحة تدل دلالة قاطعة على جواز ذلك وليس من باب التهلكة.

ولعل هذا هو الذي حمل الإمام البيهقي في كتابه السنن أن يعقد باباً بعنوان باب جواز انفراد الرجل والرجال بالغزو في بلاد العدو استدلالاً بجواز التقدم على الجماعة وإن كان الأغلب أنها ستقتله .

وكذا أبو داود عقد باباً في ذلك «باب في الرجل يشري نفسه» ، حتى قال الدمياطي في كتابه شارع الأشواق ص 1/532 في الحديث (س) ولو لم يكن في الباب إلا هذا الحديث الصحيح لكفانا في الاستدلال على فضل الانغماس والله أعلم .

4 ـ والآن لنسرد أقوال أهل العلم في ذلك:

أ ـ قال الإمام القرطبي في تفسيره «اختلف العلماء في اقتحام الرجل في الحرب وحمله على العدو وحده. فقال القاسم بن مخيمرة والقاسم بن محمد وعبد الملك من علمائنا لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة، فإن لم تكن له قوة فذلك من التهلكة. وقيل إذا طلب الشهادة وخلصت النية فيحمل، لأن مقصوده واحد منهم وذلك بيّن في قوله تعالى ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾.

وقال ابن خوايز منداد «فأما أن يحمل الرجل على مائة أو على جملة العسكر أو جماعة اللصوص والمحاربين والخوارج. فلذلك حالتان إن علم وغلب على ظنه أنه سيقتل من حمل عليه وينجو فحسن. وكذلك لو علم وغلب على ظنه أنه يقتل، ولكن سينكى نكاية أو يؤثر أثراً ينتفع به المسلمون، فجاز أيضاً. ولما تحصنت بنو حنيفة بالحديقة قال رجل من المسلمين ضعوني في الحَجَفة وألقوني إليهم. ففعلوا فقاتلهم وحده وفتح الباب».

ب ـ قال ابن المنذر في الأوسط: قال مالك في الرجل يلقى العدو العشرة أو نحو ذلك يقاتلهم وحده أو ينصرف إلى عسكره. قال مالك ذاك له واسع.

وقال أيضاً كما قال ابن يونس الصقلي في كتاب الجامع لمسائل المدونة «قال مالك لا يجوز الإنحياز إلا عن خوف بيّن وضعف من

السلطان ولهم السعة أن يثبتوا لقتال أكثر من الضعفين والثلاثة وأكثر من ذلك وإن كانوا يجدون مصرفاً عنهم، فإن علموا أنهم مقتلون إن ثبتوا. قال فأحب إليّ أن ينصرفوا عنهم إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً فإن لم يجدوا فلهم أن يقاتلوا حتى يقتلوا».

ج ـ قال أبو الوليد بن رشد في مقدماته والقرطبي «قال ابن القاسم ويجوز الفرار من أكثر من ضعفهم وهذا ما لم يبلغ عدد المسلمين اثني عشر ألفاً، فإن بلغ اثني عشر ألفاً لم يحل لهم الفرار وإن زاد عدد المشركين على الضعف لقوله ﷺ «ولن يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة» فإن أكثر أهل العلم خصصوا هذا العدد لهذا الحديث من عموم الآية قال: وروى مالك ما يدل على ذلك من مذهبه وهو قوله للعُمَري العابد إذ سأله هل لي سعة في ترك مجاهدة من غيَّر الأحكام وبدلها؟ فقال: إن كان معك اثنا عشر ألفاً فلا سعة لك في ذلك».

د ـ قال محمد بن الحسن «لو حمل رجل واحد على ألف رجل من المشركين وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية في العدو فإن لم يكن كذلك فهو مكروه، لأنه عرض نفسه للتلف من غير منفعة فإن كان قصده تجرئة المسلمين عليهم حتى يصنعوا مثل صنيعه فلا يبعد جوازه، لأن فيه نفعاً للمسلمين على بعض الوجوه. فإن كان قصده إرهاب العدو ليعلم العدو صلابة المسلمين في الدين فلا يبعد جوازه. وإذا كان فيه نفع للمسلمين فتلفت النفوس لإعزاز دين الله

وتوهين الكفر فهو المقام الشريف الذي مدح الله به المؤمنين في قوله ﴿ إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم... ﴾

هـ - قال البيهقي في سننه باب من تبرع بالتعرض للقتل. قال الشافعي رحمه الله تعالى قد بورز بين يدي رسول الله ﷺ وحمل رجل من الأنصار حاسراً على جماعة من المشركين يوم بدر بعد اعلام النبي إيَّاه بما في ذلك من الخير فقُتل.

و - قال النووي عند قصة عمير بن الحمام «فيه جواز الانغماس في الكفار والتعرض للشهادة وهو جائز لا كراهة فيه عند جماهير العلماء».

ي - قال الإمام الغزالي «لا خلاف في أن المسلم الواحد له أن يهجم على صف الكفار ويقاتل وإن علم أنه يقتل وكما أنه يجوز أن يقاتل الكفار حتى يقتل جاز أيضاً ذلك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لو علم أنه لا نكاية لهجومه على الكفار كالأعمى يطرح نفسه على الصف أو العاجز. فذلك حرام وداخل تحت عموم آية التهلكة وإنما جاز له الإقدام إذا علم أنه لا يقتل حتى يقتل أو علم أنه يكسر قلوب الكفار بمشاهدتهم جرأته واعتقادهم في سائر المسلمين قلة المبالاة وحبهم للشهادة في سبيل الله فتكسر بذلك شوكتهم».

ومن خلال ما تقدم أخي المجاهد الكريم تعلم جواب المسألة وهناك أمثلة عديدة في حياة الصحابة والسلف الصالح تدل على ذلك في المعارك والمغازي التي خاضوا غمارها ضد أعداء الإسلام، ولكن سوف أدرجها في

مبحث خاص في الكتاب الذي أنا بصدد إعداده في الجهاد وأحكامه ـ إن شاء الله ـ كما أنني سوف أتطرق لقضايا دقيقة في هذا الباب.

وأختم جواب هذا السؤال ببيان أن الغلبة تكون بالقلة المؤمنة على الكثرة الكافرة.

قال تعالى ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾. فقديماً حمل أصحاب طالوت وهم 313 رجلاً على جالوت ومعه 90 ألفاً، وقيل 300 ألف بعد أن خرج معه نحو 80 ألفاً. فلم يبق معه بعد الامتحان والتمحيص إلا 313 فقط ذلك معنى قوله تعالى ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله تعالى﴾.

وجاء في الحديث الصحيح «خير الصحابة أربعة وخير السرايا أربعمائة وخير الجيوش أربعة آلاف ولا يهزم اثنا عشر ألفاً من قلة» الجامع الصحيح 2/47.

وتاريخ غزوات الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم يدل على أنهم انتصروا في معظم الوقائع بقلة عدد وعدة وليس هذا خاصاً بزمن الرسول ﷺ فقط، وإنما في كل زمن عرف المسلمون واجبهم نحو نصرة دين الله وإعلاء كلمته بل إنهم يوم اعتزُّوا بالكثرة يوم حنين انهزموا. وهاك نماذج حية لهذه الحقيقة الخالدة:

1 ـ في غزوة بدر كان عدد المسلمين 314 وعدد الكفار ألفاً، وكان الرسول ﷺ يقول «اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد» وخرجوا جياعاً حُفاة عراة.

2 - وفي غزوة مؤتة كان عدد المسلمين 3 آلاف وعدد الكفار الروم 200 ألف.

3 - وفي القادسية كان عدد المسلمين 7 آلاف والمشركون 40 ألفاً، وقيل 60 ألف ومعهم 70 فيلاً وانهزموا. وفيها انغمس البطل الشجاع عمرو بن معدي كرب في العدو.

4 - فتح الاندلس على يد طارق بن زياد، عدد المسلمين 1700 رجل ولذريق معه 90 ألف.

5 - وهزم ألب رسلان ملك الروم عندما خرج من القسطنطينية ومعه 600 ألف.

6 - في اليرموك المسلمون 30 ألف والروم أكثر من 100 ألف، وقيل 300 ألف.

7 - وفتحت تستر بحوالي 35 رجلاً فقط.

8 - فتحت قبرص وعدد المسلمين 20 ألفاً وعدد الأعداء 200 ألف وقيل 120 ألف.

9 - وفتحت هراة وعدد المسلمين 4 آلاف وعدد الكفار 40 ألفاً.

10 - وانتصر المسلمون في عكا وعددهم 10 آلاف فارس وستين ألف راجل، والعدو 130 ألف فانتصروا بعد أن صلُّوا صلاة الموت.

11 - استرد صلاح الدين طبرية وعدد الجيش 12 ألف وعدد العدو 80 ألف.

والأمثلة من تاريخ المسلمين في عهد الرسول ﷺ وعهد من جاء بعده تدل على أن القلة المنتصرة لا تختص بزمن الرسل فقط، وإنما متى تحقق الإيمان والعدة المستطاعة تحقق النصر وإلا فكيف خرجت فرنسا ومعها الحلف الأطلسي من الجزائر ؟!!.

وقد أدرك هذه الحقيقة السلف الصالح.

1 ـ قال عمر بن الخطاب في وصيته لقائد الجيش سعد بن أبي وقاص «آمرك ومن معك من الأجناد أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم لأن عددنا ليس كعددهم ولأن عدتنا ليست كعدتهم فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا وإلا ننصر عليهم بفضلنا، لم نغلبهم بقوتنا ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلطه الله علينا وإن أسأنا ضرب قوم سلط الله عليهم من هم شر منهم.»

2 ـ قال الإمام علي رضي الله عنه «إنّ هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة وهو دين الله الذي أظهره وجنده الذي أعدّه وأمدّه حتى بلغ ما بلغ ونحن على موعد مع الله والله منجز وعده وناصر جنده.. إلى قوله «فإنا لم نقاتل بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة.»

3 ـ قال عبد الله بن رواحة في مؤتة «يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم لها تطلبون وهي الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا

كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة.»

4 ـ عن أبي هريرة قال «شهدت مؤتة فلما دنا منا المشركون رأينا ما لا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب فبرق بصري فقال لي ثابت بن أقرم يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة قلت نعم، قال إنك لم تشهد معنا بدراً إنا لم ننصر بالكثرة.»

5 ـ قال ابن جرير «والله معجل الموت لمن يشاء من حيث كما يشاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب على جهاد عدوه والصبر على قتالهم وإخراج هيبتهم من صدورهم وإن قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وإعلام منه أن الإماتة والإحياء بيده وأنه لن يموت أحد أو يُقتل إلا بعد فناء أجله الذي كتب له.»

6ـ قال ابن كثير «يحرض تعالى نبيه والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم أي كافيهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وترادفت أعدادهم ولو قل عدد المؤمنين.»

والله أعلم.



السؤال الثاني

ما حكم اتلاف وتخريب ما يتقوى به العدو مادياً وعسكرياً واقتصادياً وإذا كان ذلك يجوز شرعاً فما هي الضوابط لذلك ؟ لا سيما العدو لا يتورع في استخدام كل الوسائل حتى المحرمة دولياً لقهرنا قاتله الله. فالرجاء إفادتنا بالجواب مصحوباً بالأدلة الشرعية جوازاً ومنعاً وتقيداً وأجرك على الله تعالى.

الجواب

الحقيقة ان هذه المسألة - أي إتلاف وتخريب ما يتقوى به العدو المقاتل - من المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل العلم رحمهم الله تعالى. فهناك من يقول بالمنع ويضيق دائرة استخدام وسائل القتال ضد المقاتلة والحد من حرية المقاتلين في تخير استخدام وسائل القتال، وهناك من يرى الجواز ويعطي للمجاهد الحرية في استخدام الوسائل الكفيلة بقهر العدو. وإليك أدلة الفريقين:

1 ـ من أدلة المانعين:

ذهب الليث وأبو ثور والاوزاعي والحنابلة إلى أنه لا يجوز التخريب والتحريق والهدم وقطع الاشجار المثمرة بدليل ما جاء في وصية أبي بكر ومنها قوله «ولا تقطعن شجراً مثمراً ولا تخربن عامراً... إلخ». وقال الاوزاعي «لا يحل للمسلمين أن يفعلوا شيئاً مما يرجع إلى التخريب في دار الحرب لأن ذلك فساد والله لا يحب الفساد.»

ومن الأدلة قوله تعالى ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ وقوله ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ وقوله تعالى ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾.

وقالوا إن التخريب والتدمير بغير قصد هو عبث محض، وأن الأصل هو عدم قطع الشجر وهدم البناء، لأن الغرض من الحرب دفع أذى الحاكم الظالم، لا إيذاء الرعية.

هذا مجمل ما ذهب إليه هذا الفريق من الأدلة، حتى قال المالكية ورواية عن أحمد ليس للمقاتل حرية الاختيار في وسائل قهر العدو فلا تحرق حصون العدو بالنيران. وهو مذهب الحد من حرية المقاتلين في تخير وسائل القتال.

2 ـ من أدلة القائلين بالجواز :

وهذا المذهب يرى أنه يستعان على الأعداء بكل وسيلة تؤدي إلى كسر شوكتهم سواء أكانت الوسيلة شديدة أم خفيفة. قال وهبة الزحيلي في كتابه "العلاقات الدولية في الإسلام" ص 52 «وأما ما يفعله المقاتلون في أموال العدو أثناء القتال من تدمير وهدم وتخريب ففيه آراء ثلاثة لفقهائنا:

قال الحنفية: لا بأس بإحراق حصون العدو بالنار وإغراقها بالماء وتخريبها وهدمها عليهم وقطع أشجارهم وإفساد زروعهم وذبح حيواناتهم ونصب المجانيق على حصونهم وهدمها لقوله تعالى ﴿ يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾ ولأن في جميع ذلك قهر العدو وكسر شوكته وتفريق جمعه. ولا بأس برميهم بالنبال وإن كان فيهم مسلمون من الأسارى والتجار، لأن ذلك ضرورة وفي الرمي دفع الضرر العام بالدفاع عن كيان الإسلام وبلاد المسلمين وفي قتل الأسير والتاجر ضرر خاص. وقلما يخلو حصن من مسلم، فلو امتنع الرمي لاستولى العدو على بلادنا والضرر الخاص يتحمل في سبيل دفع الضرر العام، كما تقرر القواعد الشرعية». ومن أدلة هذا الفريق. قوله تعالى ﴿ ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليُخزي الفاسقين ﴾ وقوله تعالى ﴿ يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين ﴾. وجاء في السنّة أن النبي ﷺ «قطع نخل بني النضير وحرّق» البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود.

ورد أهل العلم من هذا الفريق على أدلة الفريق الأول بقولهم :

أ ـ إن أبا بكر أراد النهي عن التخريب بعد الاذعان والتسليم لا في أثناء القتال لأنه رأى الرسول يفعله أو لعله نهى عنه أثناء القتال على سبيل التحريم، بل لما في ذلك من المصلحة العامة لأنه رأى أن تلك البلاد ستفتح على المسلمين، فليس من المصلحة أن يخربوا أموالهم بأيديهم، ويؤيد الرد أن القاضي أبا يعلى الحنبلي أجاز لأمير الجيش حصار العدو بنصب العرادات والمنجنيقات وأجاز هدم المنازل والتحريق والبيات (أي المفاجأة ليلاً) وأما قطع الشجر والنخيل فيجوز إذا رأى القائد مصلحة لإضعافهم والظفر بهم أو لدخولهم في السلم.

ب ـ وأما الاستدلال بالآيات السابقة إنما هي من العمومات مخصومة بغير حالة الحرب أو بغير حالة رؤية المصلحة لتحقيق الظفر والمسالمة صلحاً.

جـ ـ إن استعمال الأشد مع إمكان تحقيق المقصود بالأخف فيه كراهة لأنه إفساد في غير محل الحاجة.

د ـ قال الحافظ بن حجر في فتح الباري 6/154 «وقد ذهب الجمهور إلى جواز التحريق في بلاد العدو وكرهه الاوزاعي والليث وأبو ثور واحتجوا بوصية أبي بكر لجيوشه أن لا يفعلوا شيئاً من ذلك. وأجاب الطبري بأن النهي محمول على القصد لذلك بخلاف ما إذا أصابوا ذلك في خلال القتال. كما وقع في نصب المنجنيق على الطائف وهو نحو ما أجاب به في النهي عن قتل النساء والصبيان وبهذا قال أكثر أهل العلم ونحو ذلك القتل بالتحريق. وقال غيره إنما نهى أبو بكر جيوشه عن ذلك، لأنه علم أن تلك البلاد ستفتح فأراد إبقاءها على المسلمين».

هـ ـ قال النووي في شرح مسلم 12/50 «وفي هذا الحديث جواز قطع شجر الكفار وإحراقه وبه قال عبد الرحمن بن القاسم ونافع مولى ابن عمر ومالك والثوري وأبو حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق والجمهور وقال أبو بكر الصديق والليث بن سعد وأبو ثور والأوزاعي في رواية عنهم لا يجوز».

و ـ وقال الإمام الخطابي في معالم السنن ج 264/2 «واختلف العلماء في تأويل ما فعل رسول الله ﷺ من ذلك ـ أي حرق نخل بني النضير وقطعها ـ فقال بعضهم إنما أمر بقطع النخيل لأنه كان مقابل القوم فأمر بقطعها ليتسع المكان له وكره هذا القائل قطع الشجر واحتج بنهي أبي بكر عن ذلك. وإلى هذا المعنى ذهب الأوزاعي وقال الأوزاعي لا بأس بقطع الشجر وتحريقها في بلاد المشركين وبهدم دورهم. وكذلك قال مالك وقال أصحاب الرأي لا بأس به وكذلك قال إسحاق وكره أحمد تخريب العامر إلا من حاجة إلى ذلك».

3 ـ لا يجوز الاتلاف والتخريب إلا من باب الضرورة:

بعد عرض أدلة الفريقين يظهر جلياً أن المسألة في استخدام وسائل القتال المادية المختلفة من (تخريب، وحرق، وقذائف ثقيلة، وتحريق، وقطع للمياه على الجند، واستعمال النار وحصار عسكري واقتصادي، وتغوير للآبار) لا يجوز إلا من باب الضرورة الحربية أو قصاصاً أو معاملة بالمثل. فإذا خيف على المسلمين وتعين التخريب والإتلاف سبيلاً لقهر العدو ولم يوجد غيرها أو بدأ هو بها جاز ذلك للضرورة ومعاملة

بالمثل فهي وسائل تمنعها الشريعة من حيث الأصل والمبدأ ، ولكن لا تمنع مبادئ الإسلام من القول بمشروعيتها إذا استخدمها العدو ، وإن كانت لا تتفق مع مبادئ الرحمة. وهنا في باب الجهاد ضد الأعداء الغاية تسوغ الوسيلة في تقدير الإسلام ، وذلك كله في حدود الضرورات إذ لو لم نسلك هذا المسلك ، لظفر بنا وكثرت نكايتهم فينا. ولذلك يرى المالكية أنه ممنوع حرق إلا إذا تعذر الغلب بدونها وخيف العدو إذا كف عنه.

قال وهبة الزحيلي في العلاقات الدولية ص 53 «وقال المالكية والشافعي وابن حزم الظاهري يجوز تخريب وهدم منازل العدو والتحريق والتغريق. وأما قطع نخلهم وأشجارهم ، فلا يجوز إلا للأكل أو لمصلحة حربية. كأن يكون ذلك استضعافاً لهم ليظفر بهم عنوة أو يصالحوا سلماً فإن لم تتوفر مصلحة فلا يجوز لقوله تعالى ﴿**ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليُخزي الفاسقين**﴾. وقد قطع رسول الله ﷺ كروم أهل الطائف ، فكان سببا في إسلامها وأمر في حرب بني النضير بقطع نوع من النخل يقال له الأصفر ويجوز تغوير المياه عليهم وقطعها عنهم لأنه من أقوى أسباب ضعفهم والظفر بهم عنوة أو صلحاً. الا أن المالكية لم يجيزوا التحريق بالنار إلا إذا لم يمكن غيرها. وقد خيف منهم أي من الأعداء ولم يكن فيهم مسلم فإن أمكن غيرها أو كان فيهم مسلم لم يحرقوا بها ولو خفنا منهم وقد نص الإمام مالك في المدونة على أنه لا يباح استعمال النار إلا إذا كانت هي الوسيلة الوحيدة للتغلب ، "آخر الدواء الكيّ" ».

وقال الحافظ بن حجر في فتح الباري 6/153. باب إذا حرّق المشرك المسلم هل يحرّق؟ قصة العرنيين. تعارض بين لا يعذب بعذاب الله. «وكأنه - أي البخاري - أشار لذلك إلى تخصيص النهي في قوله «لا يعذب بعذاب الله» بما إذا لم يكن ذلك على سبيل القصاص... إذا جاز سمل أعينهم وهو تعذيب بالنار ولو لم يفعلوا ذلك بالمسلمين فجوازه إن فعلوه أولى». ولذلك قال الإمام أحمد «إن فعلوا بنا فعلنا بهم» وقال «لا أذهب إليه إلا إذا هم فعلوا بنا ذلك».

وجملة القول أن هناك وسائل محرمة، وإنما تباح للضرورة الحربية أو معاملة بالمثل فيجوز من باب الضرورة التخريب لغرض حربي فيضطروا للسلم أو لغرض اقتصادي للتضييق على العدو وإرباك مخططاته وإضعافه، لقوله تعالى ﴿ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح﴾. قال وهبة الزحيلي ص 68 «وأما إتلاف الأموال من أبنية وزرع وأشجار ومنشآت مدينة كالجسور والطرق، فيجوز إتلاف ما تدعو الحاجة إلى إتلافه كالذي يعوق الحركات العسكرية في ميدان القتال أو يختفي وراءه العدو. ولا يجوز إتلاف ما تدعو الحاجة إلى الإبقاء عليه كالخزانات المائية لما فيه من الإضرار أو احتمال المعاملة بالمثل. وأما ما لا حاجة لإتلافه أو إبقائه. فأجاز الجمهور من الحنفية والمالكية والشافعية وأحمد في رواية إتلافه حتى لا يتقوى به العدو». وقال أيضاً «رأي الحنفية والمالكية يجوز إتلاف حيواناتهم لكسر شوكة العدو».

ويرى بعض أهل العلم أن الواجب أن يكون المقصد من الإتلاف والتخريب ونحو ذلك لحمل العدو على التسليم، فتحقن الدماء بدل الاستمرار في القتل والقتال أو المبالغة في زجرهم عن الكفر والطغيان وإعزاز الدين. قال العز بن عبد السلام في كتابه "أحكام الجهاد وفضائله" «وأما قطع الأشجار وتخريب الديار فخزي لهم وإضعاف لقلوبهم فإن المصائب تُضعف القلوب وتكسر النفوس ولذلك قال الله تعالى ﴿ وليُخزي الفاسقين ﴾»، وقال د/نزيه حماد تعليقاً «ومن هنا كانت مشروعية قطع الأشجار وتخريب الديار منوطة بأن يغلب على الظن إفضاء ذلك إلى هزيمتهم». مشروعيتها إنما هي داعي المصلحة والضرورة فإذا عُدم ذلك انتفي الحكم المنوط به. قال الماوردي في الأحكام السلطانية ص 52 «وإذا رأى - أمير الجيش - في قطع نخلهم وشجرهم صلاحاً يستضعفهم به ليظفر بهم عنوة، أو يدخلوه في السِلم صلحاً فَعَلَ ولا يفعل إن لم ير فيه صلاحاً».

4 - بيان أنواع ممتلكات العدو:

قال الدكتور محمد علي الحسن في كتابه العلاقات الدولية في القرآن والسنة ص 166: «وينبغي عند الحديث عن هذا أن نفرق بين ثلاثة أنواع من ممتلكات العدو:

النوع الأول: هناك بعض الممتلكات التي يستعملها العدو في أغراض القتال كمراكز تموين الجند ومخازن الذخيرة ومحطات الرادار

وحصن الحراسة. فهذا النوع لا خلاف في جواز إتلافه بل يجب إتلافه إذا كان الاتلاف طريقاً إلى النصر والغلبة على الأعداء.

النوع الثاني: وهناك بعض الممتلكات التي إذا اتلفت، عاد علينا الضرر كإتلاف خزان مياه أو إتلاف جسر نمر عليه إلى العدو، فلو أتلفناه نعاد علينا ضرر عظيم، ولربما كان له أثر كبير في المعركة. فهذا النوع يحرم اتلافه وقد حصل قديماً بطريق الخطأ - وذلك وقت أن خرب أحد المسلمين الجسر - الذي كان فوق دجلة، وأصبح المسلمون فريقين ولولا لطف الله وشجاعة المسلمين، لكانت كارثة الهزيمة محققة في تلك المعركة. كما يحرم أيضاً إتلاف الممتلكات التي يتفادى العدو إتلاف أمثالها من ممتلكاتنا كالمستشفيات ولو أتلفناه عليه لعاملنا بالمثل ولعاد علينا ذلك بالضرر. وهذا النوع لا يحتمل الخلاف في حرمة إتلافه لما فيه من الاضرار بالمسلمين.

النوع الثالث: هناك بعض الممتلكات لا يوجد فيها ضرر للكافرين ولا نفع للمسلمين فوجودها والإبقاء عليها لا يقدم نصراً ولا يلحق هزيمة. وهذا النوع قد وقع خلاف في جوازه، فذهب أكثر الفقهاء إلى جواز ذلك واستدلوا بما يلي (قلت راجع أدلة القائلين بالجواز) إلى قوله «والحاصل أنه لا يجوز قطع الشجر وهدم الحجر ما دام لا يجلب نفعاً ولا يدفع مضرة ولا يحقق نصراً ولا يلحق هزيمة. فإذا فعل ذلك تجاوز الفضيلة والآداب التي يجب أن يتحلى بالمسلمون في حروبهم، وهم الذين يرون في الحرب وأهوالها ضرورة ينبغي أن تقدر بقدرها. فالإتلاف الذي لا يتوقف عليه إحراز نصر ولا فرار من هزيمة لا يجوز. ومثل هذا لا يبلغ

أن يسمى باسم الغيظ والنكاية، بل لعله أذى محض عبث يدعو إلى الرثاء والإشفاق على فاعله، بل السخرية منه، لأنه شاهد من شواهد اليأس أو فقدان الاتزان ثم ما دام خلوا من الغرض الصحيح فهو فساد، وكلا العبث والفساد محرمان في الإسلام فكيف يثاب عليهما».

وقال في صفحة 173 «حكم إتلاف المنشآت التاريخية أو الفنية أو العلمية: لا بد من التنبيه بصفة خاصة على حكم الآثار والمتاحف والمدارس، وما إليها من سائر المنشآت التاريخية أو الفنية أو العلمية، هل يجوز ضربها وتدميرها أم لا ؟.

لا شك أن هذه الأشياء لن يكون مصيرها (إذا كانت في منطقة الحرب) بأفضل من مصير الأنفس البشرية البريئة. فإذا وقعت الحرب ولم يمكن أن نتلافى ضرب هذه المنشآت ولم يمكن تحقيق النصر إلا بذلك، فإنه يجوز فيها ما لا يجوز في حالات السلم والسلام وهذه هي السياسة الحربية المتبعة في شريعة الإسلام، وقد يتعين ضربها إذا اتخذها العدو مركزاً حربياً أو استعملها في أية أغراض حربية.

وقال الإمام النحاس الدمياطي في مشارع الأشواق ص 2/1024 الزرع والشجر في دار الحرب ينقسم ثلاثة أقسام:

أحدها: ما تدعو الحاجة إلى إتلافه كالذي يقرب من حصونهم أو يمنع من قتالهم أو يحتاج إلى قطعة لتوسعة طريق أو تمكن من قتال أو سترة منجنيق أو غيره أو يكونوا يفعلون ذلك بنا فنفعله بهم لينتهوا، فهذا جائز بغير خلاف نعلمه.

الثاني : ما يتضرر المسلمون بقطعه لكونهم ينتفعون ببقائه لعلوفتهم أو استظلالهم أو الأكل من ثمره ، أو تكون العادة لم تجر بيننا وبينهم بذلك ، فإذا فعلناه بهم فعلوه بنا . فهذا يحرم لما فيه الإضرار بالمسلمين .

والثالث: ما لا ضرر فيه بالمسلمين ولا نفع سوى غيظ الكفار والإضرار بهم فيجوز قطعه عند مالك والشافعي . وعن أحمد روايتان فإن غلب على الظن حصولها لنا كره .

وأختم هذا الجواب بما قاله أبو زهرة في كتابه العلاقات الدولية في الإسلام ص 101 «والخلاصة التي انتهينا إليها من مراجعة أوجه النظر المختلفة ومراجعة مصادر الشريعة ومواردها ما يأتي :

أولاً: إن الأصل هو عدم قطع الشجر وهدم البناء . لأن الغرض من الحرب دفع أذى الحاكم الظالم لا إيذاء الرعية .

ثانياً: إنه إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء ضرورة حربية لا مناص منها حين يستتر العدو بها ، ويتخذ منه وسيلة لإيذاء الجيش الإسلامي ، فإنه لا مناص من قطع الشجر وهدم البناء . وليست في ذاتها أعز من الأنفس التي تزهق في الميدان . وقد فعل النبي ﷺ ذلك .

ثالثاً: انه يخرّج كلام الفقهاء الذين أجازوا قطع الشجر وتخريب العمران على أنه مقصود على هذه الضرورة ولا يتصور أنهم قصدوا التخريب لذات التخريب وخصوصاً أنه كان الغالب أن الأرض تعود للمسلمين» .

وقد أوضح الدكتور كامل سلامة الدقس في الجهاد في سبيل الله ص 257 «ومن مهارته (أي الرسول ﷺ) العسكرية ضربه خطوط مواصلات العدو واقتصاده».

أخي الكريم تلك هي الأجوبة على السؤالين السابقين راجياً من الله تعالى أن تنتفع بها سائر الإخوة المجاهدين حفظهم الله من كل مكروه ورزقنا الله وإياهم حسن الخاتمة وشهادة في سبيله ترفعنا إلى الدرجات العلى عنده إنه جواد كريم. فإن أصبت فمن الله وحده لا شريك له وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

وليكن في علمك أخي الكريم الفاضل أن مثل هذه القضايا الجهادية أحاول أن أبسط منها القول في مؤلف مفرد بعنوان «التذكير والإرشاد بفضائل الشهادة وأحكام الجهاد» وقد حضرت جلَّ موضوعاته بحمد الله تعالى غير انني أتمنى أن تسير المحاكمة بمحكمة البليدة كما نُريد دون أية عرقلة فيحضرها الشهود الذين نرغب في حضورهم، وكذا تحضرها وسائل الإعلام الداخلية والخارجية لكي يتضح للعالم أجمع أن النظام هو المعتدي. فإذا تمت المحاكمة وتيسّر الأمر فإنني سأباشر تحرير الكتاب بقدرة الله وعونه. ولكن أغلب الظن أن مطالبنا لن تتحقق لأن ذلك ليس في صالح النظام الذي شوّه سمعة المسلمين عامة والدعاة خاصة في وسائل الإعلام على أوسع نطاق. ورمانا بما نحن منه أبرياء إذ لو تحقق مطلب الشيوخ - حفظهم الله تعالى - يوم المحاكمة وفسح لنا مجال التعبير الواضح الصريح الدامغ. فسوف تقع المفاجأة داخلياً وخارجياً ويتعرّى

النظام الغادر الذي لا يتمسك بعهد ولا بميثاق. وأختم هذه الرسالة ـ بمعونة الله تعالى ـ بالحديث عن أهم الأمور التي تُقعد الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى فأقول مستعيناً بالله تعالى:

١ ـ صعوبة فريضة الجهاد: الدارس للقرآن الكريم وللسيرة النبوية الشريفة يدرك أنه ليس هناك فريضة شاقة على النفس المسلمة مثل الجهاد في سبيل الله تعالى ولا يصل إلى العمل بهذه الفريضة إلا من وصل فعلاً إلى قمة العقيدة والتوحيد والمحبة لله تبارك وتعالى إذ بذل النفس في سبيله تعالى هي أقصى غاية الجود. ومن هنا كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وأجره من أعظم الأجر وأزكاه لأن الأجر على قدر المشقة. وهذه الحقيقة أقرّها القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة. قال تعالى ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ قال البيضاوي «كره وهو بمعنى الإكراه كأنهم أكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته» وقال الألوسي: «وكون القتال مكروهاً لا ينافي الإيمان، لأن تلك الكراهية طبيعية لما فيه من القتل والأسر وإفناء البدن وتلف المال» فها أنت أخي المسلم تدرك من هذه الآية أن الإسلام لا ينكر مشقة هذه الفريضة ولا ينكر على النفس إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها.

قال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخّرتنا إلى أجل قريب﴾ وقال تعالى أيضاً ﴿ويقول الذين آمنوا

لولا نزلت سورة فإذا أُنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيتَ الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشِيّ عليه من الموت﴾ وقال عز وجل ﴿قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين﴾. فهذه النصوص كلها توضح في جلاء أن هذه الفريضة مُرّة كريهة المذاق ولكن لعل وراء المكروه خيراً ووراء المحبوب شرّاً ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبُوا شيئاً وهو شرٌّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾، وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون ما لا تفعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. قال أبو السعود «إنّ المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت الآية».

2 ـ الأجر على قدر المشقّة: وإذا اتّضح لنا أن أشقّ فريضة إسلامية على النفس المسلمة هي الجهاد بصفة عامة والقتال بصفة خاصة، أدركنا أن أجر الشهداء هو أعظم الأجر وأزكاه وأنماه، والحديث في التدليل على هذا المعنى يطول، ولكن لا بأس بذكر بعض الأدلة على ذلك على وجه الإجمال راجياً من المولى تعالى أن يوفقني لتفصيل ذلك في الكتاب الذي سبق ذكره.

ـ قال تعالى ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً * درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً﴾.

ـ وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال ((«من رضي بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً وجبت له الجنّة»، فعجب لها أبو سعيد فقال أعِدهَا عليَّ يا رسول الله. فأعادها عليه، ثم قال «وأخرى يرفع الله بها للعبد مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» قال وما هي يا رسول الله؟. قال: الجهاد في سبيل الله.))

ـ وقال الله تبارك وتعالى ﴿ولا تَحْسَبَنَّ الّذين قُتِلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءٌ عند ربّهم يُرزَقُون * فرِحِينَ بِما آتَاهُم الله مِن فضْلِه..﴾ والآيات في فضل المجاهدين كثيرة جداً. أما الأحاديث فأكثر وأكثر. أكتفي بقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان «مَثَل المجاهد في سبيل الله ـ والله أعلم بمن يجاهد في سبيله ـ كَمَثَل الصَّائِم القائم. وتوكّل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفّاه أن يدخله الجنّة أو يرجعه سالماً مع أجر وغنيمة». في حديث لهما: قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال لا تستطيعونه. فأعادوا عليه مرتين ـ أو ثلاثاً ـ كل ذلك يقول لا تستطيعونه، وقال في الثالثة «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد في سبيل الله».

وقال ابن النحّاس في شارع الأشواق ص 1/65 «وأن الجنّة تحت ظلال السيوف وأن الرمي الأعظم في شرب كؤوس الحتوف، وأن من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرّمه الله على النار، ومن أنفق ديناراً كُتب بسبع مائة، وفي رواية بسبع مائة ألف دينار، وأن الشهداء حقاً عند الله

من الأحياء، وأن أرواحهم في جوف طير خُضر تتبوّأ من الجنّة حيث تشاء، وأن الشهيد يغفر له من جميع ذنوبه وخطاياه وأنه يشفع في سبعين من أهل بيته ومن والاه وأنه يأمن يوم القيامة من الفزع الأكبر وأنه لا يجد كرب الموت ولا هول المحشر وأنه لا يحس ألم القتل إلاّ كمسّ القرصة وكم للموت على الفراش من سكرة وغصّة وأن الطاعم النائم في الجهاد أفضل من الصائم القائم في سواه، ومن حرس في سبيل الله لا تبصر النار عيناه، وأن المرابط يجري له أجر عمله كالشهيد أبداً لا ينقطع وأن رباط يوم خير من الدنيا وما فيها أجمع وأنه يؤمن من فتنة القبر وعذابه وأن الله يكرمه في القيامه بحسن مآبه، إلى غير ذلك من الفضل الذي يضاهى والخير الذي لا يتناهى.

وإذا كان الأمر كذلك فيتعين على كل عاقل التعرض لهذه الرتب وإن كان نيلها مقسوماً، وصرف عمره في طلبها وإن كان منها محروماً، والتشمير للجهاد عن ساق الاجتهاد، والنفير إلى ذوي العناد من كل العباد، وتجهيز الجيوش والسرايا وبذل الصِّلات والعطايا وإقراض الأموال لمن يضاعفها ويزكّيها، ودفع سلع النفوس من غير مماطلة لمشتريها وأن ننفر في سبيل الله خفافاً وثقالاً ونتوجه لجهاد أعداء الله ركباناً ورجالاً وأن نجر الخميس العرمرم القمقام إلى أولياء إبليس الطَّغام اللئام، حتى يخرجوا إلى الإسلام من اديانهم ويعطوا الجزية صغرة بإيمانهم أو نستلب نفوسهم من أبدانهم ونجتذب رؤوسهم من تيجانهم. فجموع ذوي الالحاد مكسرة، وإن كانت بالتعداد مكثرة، وجيوش أُولي العِناد مُدبرة مُدَمَّرة

وإن كانت بعقولهم مُقدِمة مدبِرة، وعزمات رجال الضلال مؤنثة مصغرة وإن كانت ذواتهم منكرة مكبرة. ألا ترى الله سبحانه جعل كل مسلم يغلب منهم اثنين وللذكر من العقل والتدبير حظ الأنثيين، فوجب علينا أن نطير إليهم زرافات ووحداناً ونغير عليهم رجالاً وفرساناً وأن نخاطر معهم بالنفوس والمُهج وأن نركب قفر البرّ وثبج البحر لنيل الدرج، وأن نقطع لجج البحر الغرّار بسفن كالدياجي مقلعة بالنهار وأن نغترت إليهم في أغربة تطير بلا جناح في كل مطار... إلى أن قال... وأن نتطهر بدماء المشركين والكفار من أرجاس الذنوب وأنجاس الأوزار...».

ومن أحسن ما قرأت لابن النحاس الدمياطي مبحث في بيان الأسباب التي تُقعد الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى، فأحببت أن أنقلها هنا بطولها لما فيها من فائدة، لسائر الإخوة عسى الله أن يوقظ الهمم الناعسة الواقدة. قال في صفحة ٤٧ وما بعدها من كتابه الفذ المشارع:

«إعلم أيها الراغب عما افترض عليه من الجهاد، الناكب عن سنن التوفيق والسداد، إنك قد تعرضت للطرد والإبعاد، وحُرِمت - والله - الإسعاد بنيل المراد، ليت شعري هل سبب إحجامك عن القتال، واقتحامك معارك الأبطال وبخلك في سبيل الله بالنفس والمال، إلا طول الأمل، أو خوف هجوم الأجل، أو فراق محبوب من أهل ومال، أو ولد وخدم وعيال أو أخ لك شقيق، أو قريب عليك شفيق، أو وليّ كريم، أو صديق حميم، أو ازدياد من مصالح الأعمال، أو حبّ زوجة ذات حُسن وجمال، أو جاه منيع، أو منصب رفيع أو قصر مشيد، أو ظل

مديد، أو ملبس بهيّ، أو مأكل هنيّ؟!. ليس غير هذا يقعدك عن الجهاد، ولا سواه يبعدك عن ربّ العباد وتالله ما هذا منك أيها الأخ بجميل، ألا تسمع قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل﴾.

اصغ لما أُملي عليك من الحجج القاطعة، واستمع ما ألقي عليك من البراهين الساطعة، لتعلم أنه ما يقعدك عن الجهاد سوى الحرمان، وليس لتأخرك سبب إلا النفس والشيطان:

١ ـ أما سكونك إلى طول الأمل، وخوف هجوم الأجل، والاحتراز من الموت الذي لا بد من نزوله، والاشفاق من الطريق الذي لا بد من سلوك سبيله، فوالله إن الإقدام لا ينقص عمر المقدمين، كما لا يزيد الإحجام عمر المستأخرين: ﴿ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، ﴿ولن يُؤخِّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾، ﴿كل نفسٍ ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾. وإنْ للموت لسكرات أيها المفتون، وإن هول المطلع شديد ولكن لا تشعرون، وإن للقبر عذاباً لا ينجو منه إلا الصالحون، وإن فيه لسؤال الملكين الفاتنين ﴿يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين﴾، ثم بعد ذلك الخطر العظيم، إما سعيداً فإلى النعيم المقيم، وإما شقياً فإلى عذاب الجحيم، والشهيد آمِن من جميع ذلك، لا يخشى شيئاً من هذه المهالك. وقد قال رسول الله ﷺ

«لا يجد الشهيد من ألم القتل إلا كمسّ القرصة». فما يقعدك أيها الأخ عن انتهاز هذه الفرصة لم جاء في القبر من العذاب، والفوز عند الله بحسن المآب، وتأمن من فتنة السؤال، وما بعد ذلك من الشدائد والأهوال، فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين، أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في علِّيين فكم بين هذا القتل الكريم، وبين الموت الأليم.

2 ـ وإن قلت يعوقني عن الجهاد أهلي ومالي، وأطفالي وعيالي، فقد قال الله تعالى قولاً بيّناً لا يخفى ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زُلفى﴾ وقال تعالى ﴿زُيِّن للناس حُبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ وقال تعالى ﴿ ... أنَّما الحياة الدنيا لَعِبٌ ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرّاً ثم يكون حطاماً وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ والآيات في مثل هذا كثيرة، والحجج واضحة منيرة. وفي الحديث «لو أنّ الدنيا عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء» وقال ﷺ «موضع سوط أحدكم من الجنّة خير من الدنيا وما فيها وغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، وخمار جارية من أهل الجنّة خير من الدنيا وما فيها». فكيف يصدك عن هذا الملك العظيم، أهل عن قليل يكونون في

الأموات، وتمزقهم أيدي الشتات، وتفرقهم نوازل الآفات، مع ما يصدر منهم من النكد والعداوات، والأخلاق السيئات، والحقد على ما عرضت من حظوظهم منك للفوات، وهجرانهم إيّاك عند قلة المال، وتحولهم عن وُدِّك عند تغيُّر الأحوال، وأعظم من ذلك فرارهم منك في المآل، ومحاسبتهم إيّاك على مثاقيل الذر في موقف السؤال، حتى يود كل واحد منهم لو نجا، وحمّلك ما عليه من الذنوب والأثقال.

أم كيف يصدك ما هو في معرض الذّهاب والزّوال، ينفر عنك عند فقد الأخلاّء وتفرّق العيال، ويهجرك كل صديق كان يكثر لك من الوصال، ثم يوم القيامة تسأل عنه من أين اكتسبت، أو فيم أنفقت؟ ويا له من سؤال، في يوم تشيب فيه الأطفال، وتعظم فيه الأهوال، وتكثر فيه الزحام، ويشتد الخصام، وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها، من هول ذلك المقام، ويُعرف المجرمون بسيماهم فيُؤخذ بالنواصي والأقدام، ويحاسب فيه الأغنياء عن النقير والقطمير، والخطير والحقير، والناقص والتمام، يسبق الفقراء الأغنياء إلى الجنّة بخمس مائة عام، فيأكلون ويشربون ويتنعّمون في دار السلام، وأنت أيها الغنيّ محبوس عنهم بسبب مالك، تخشى أن يؤمر بك إلى مالك.

أفتحزن على فراق ما إن قلّ أكثر همك وعناك، أو كثر فأغناك وأطغاك وإن متّ تركته وراءك أرداك، وبين يديك موقف الحساب عليه وما أدراك، وهب أن لك الدنيا بحذافيرها، أليس إلى الفناء مصيرها، ولا بد من فراقك لها، وإن ركنت إلى غرورها....

3 ـ وإن تذكرت ولدك الكريم، وحنوت عليه حنو الأب الشفيق الرحيم، فقد قال الله تعالى ﴿ إنَّما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم ﴾.

وتالله لَلَه أرحم بالولد من أبيه وأمه، وأخيه وعمه، وكيف لا وهو ربّاه قبلهم لثدي رحمته، في ظلمات الأحشاء، وقلبه بيد لطفه ورأفته في أرحام الأمّهات وأصلاب الآباء، فأين كانت شفقتك عليه إذ ذاك، وحنوّك وبعدك عنه ودنوك، وكيف يقعدك عن دار النعيم وجوار الربّ الكريم، ولدٌ إن كان صغيراً فأنت به مهموم، أو كبيراً فأنت به مغموم، أو صحيحاً فأنت عليه خائف، أو سقيماً فقلبك لضعفه واجف، إن أدّبته غضب وشرد، أو نصحته حرد وحقد، مع ما تتوقعه من العقوق المعتاد، من كثير من الأولاد، إن أقدمت جبّنك، وإن سمحت بخلك، وإن زهدت رغّبك، عظمت به الفتنة، وأنت تعدها مِنّة وعمّ به البلاء، وأنت تراه في النعماء، تود سروره بهمك، وفرحه بحزنك، وربحه بخسرانك، وزيادة درهمه وديناره بخفة ميزانك تتكلف من أجله ما لا تطيق، وتدخل بسببه في كل مضيق، ألقه يا هذا عن بالك إلى من خلقك وخلقه وتوكّل في رزقه بعدك على الذي رزقك ورزقه، أسلمت إلى الله تدبيره في الملك والملكوت، ولا تسلم إليه تدبير ولدك بعدما تموت، وهل إليك من تدبيره قليل أو كثير ﴿ **ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير** ﴾. والله لا تملك له ولا لنفسك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا تستطيع أن تزيد من عمره يسيراً، ولا في رزقه نقيراً، وقد تفترسك المنيّة بغية، فتمسي في قبرك

صريعاً ولعملك أسيراً، ويصبح ولدك العزيز بعدك يتيماً، ويقسم مالك وَارثُك عدواً كان أو رحيماً، ويفترق عيالك ظاعناً ومقيماً، وتقول يا ليتني كنت مع الشهداء، فأفوز فوزاً عظيماً، فيُقال لك هيهات هيهات، فات ما فات، وعظمت الحسرات، وخلوت بما قدمت من حسنات أو سيئات، ألا واسمع قول الله العزيز الغفور محذراً لك ما أنت فيه من الغرور ﴿يا أيُّها الناس اتَّقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إنَّ وعد الله حق فلا تغرَّنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾. هذا و إن كان ولدك من السعداء فستجمع بينك وبينه الجنان، و إن كان من الأشقياء فليكن من الآن، لا يجتمع أهل الجنة مع أهل النار، ولا الأخيار مع الأشرار، ولعل الله يرزقك الشهادة فتشفع فيه، وتكون بفراقك له ساعياً في أن تُنجيه. إحرص على ما ينجيك من العذاب، واجهد فيه فغداً ﴿يفر المرء من أخيه * وأمِّه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه﴾. إن هذا لهو البيان العظيم ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

4 ـ و إن قلتَ يشق عليَّ فراق الأخ والقريب، والصديق والحبيب، فكأنك بالقيامة وقد قامت على الخلق أجمعين ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتّقين﴾ فإن كانت الصداقة لله فستجمع بينكما عليِّون، في نعيم أنتم فيه خالدون، و إن كانت الصحبة لغير الله، فالفراق الفراق، قبل أن يحشر الرفاق مع الرفاق، لأن المرء في الآخرة مع محبوبه، لمشاركته في مطلوبه، فإن كان من الأتقياء نفعه أخاه، وإن كان من

الأشقياء ضرّه وأرداه، مع ما يتوقع في هذه الدار من الأقرباء والأصدقاء من الجفاء، والصد وقلة الوفاء، وكثرة الكدر وعدم الصفاء، وتغيّرهم لديك، وتلوُّنهم عليك، وإساءتهم إليك، وهجرهم إيّاك عند فوات الأغراض، وما تَجنُه قلوبهم من العلل والأمراض، إن وقعت في شدّة تخلّوا عنك، أو واقعت زلة تبرّؤوا منك، إخوان السرّاء وأعداء الضرّاء، صداقتهم مقرونة بالغنا، وصحبتهم مشحونة بالعناء، إن قلّ مالك ملُّوك، وإن حال حالُك فما أخوك أخوك، وإن شككت في شيء من هذا البيان، فسيظهر لك يقيناً عند الامتحان، وإن ظفرت يدك منهم بأخ من إخوان الصفا! وأين ذاك، أو خِل من خِلاّن الوفا، وما أراك، فأنتما غداً كما قال أصدق القائلين ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غِلٍ إخواناً على سرر متقابلين﴾.

ولا يقعدك يا هذا عن الجهاد حبيب أو قريب، فربما افترقتما قبل المغيب ففاتك الثواب العظيم، وبان عنك الصديق الحميم، وحرمت ما ترومه من الدرجات وندمت فلم يغنك الندم على ما فات. وفي الحديث أن جبريل عليه السلام قال للنبي: «يا محمد إنّ الله يقول لك عِش ما شئت، فإنّك ميّت، وأحْبِب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك مجزي به.»

5 ـ وإن قلت: يُقعدني منصبي وجاهي الرفيع، وعزّي وحجابي المنيع، فليت شعري كم فارق منصبك، محباً له إلى أن وصل إليك، وكم زال ظله من مُغْبِط نفسه به إلى أن ظلل عليك. سيبين عنك كما عنهم بان، وكأنّك بذلك وقد كان، فإذا أنت لفراقه ثكلان، وقلبك مغمور

بالحسد وصدرك معمور بالأحزان، فلم يدم لك ما أنت فيه من المنصب والجاه، ولم تفز بما أنت طالبه من أسباب النجاة وإن لآخر من يخرج من النار، ويدخل بعد الداخلين، مثل ملك أعظم من ملوك الدنيا وعشرة أمثاله معه أجمعين. فما ظنُّك بمن يكون مع السابقين الأولين من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، مع ما لا يخفى عليك بما في المنصب، من النصب والتعب، وشر العاقبة وسوء المنقلب، وما تكسب به من كثرة الأعداء والحسّاد، وما اشتملت عليه بواطنهم من الضغائن والأحقاد، وشماتتهم بك عند زواله، تلهفك حزناً على ما فات من إقباله، وزوال أكثر حشمك وخدمك، وإعراض من كان يُسر بتقبيل قدمك.. وروى الترمذي وابن حبان في صحيحه أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبّة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء. واسمع قول العزيز الغفّار ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلامٌ عليكم بما صبرتم فَنِعْم عقبى الدار﴾ تالله هذا ما تقرُّ به العيون و﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

6 ـ وإن قلت يشق عليَّ فراق قصري وظله، وبنائه المشيد وعلو محله وحشمي فيه وخدمي وسروري ونعمي، فليت شعري هل هو إلا بيت من طين وحجر وتراب، وسدر وحديد وخشب، وجريد وقصب، إن لم يكنس كثرت فيه القمامة، وإن لم يسرج فما أشد ظلامه، وإن لم يتعاهد بالبناء فما أسرع انهدامه وإن تعاهدته فمآله إلى الخراب، وعن قليل يصير كالتراب، يتفرق عنه السكان، وتنتقل عنه القُطّان، ويعفو أثره

ويندرس خبره، ويُمحى رسمه ويُنسى اسمه.. استبدل أيها المغرور، قصرك مع سرعة فنائه، بدار باقية قصورها عالية، وأنوارها زاهية، وأنهارها جارية، وقطوفها دانية، وأفراعها متوالية.. وإن سألت عن حصبائها، فاللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن أنهارها، فأنهارٌ من لبن، وأنهارٌ من عسل، ونهر الكوثر. وإن سألت عن قصورها فالقصر من لؤلؤة مجوفة طولها سبعون ميلاً في الهواء أو من زمردة باهرة السنا، أو ياقوتة حمراء، عالية البناء، وللمؤمن في كل زاوية من زواياها أهل وخدم، لا يبصر بعضهم بعضاً لسعة الفنا. وإن سألت عن فروشها فمن استبرق بطائنها، فما ظنك بظهائرها وهي مرفوعة بين الفراشين أربعين سنة، وليس عليها نوم ولا سِنة، بل هم عليها متّكئون مقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

وإن سألت عن أكلها فموائدها موضوعة وأكلها على الدوام، وثمارها لا ممنوعة ولا مقطوعة لطول المقام، بل فاكهة نضيجة ﴿مما يتخيرون ولحم * طير مما يشتهون﴾ ويسقون فيها ﴿من رحيق مختوم * خِتامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾، لا يتغوّط أهلها، ولا يبلون، ولا يبصقون، ولا يتمخطون، أكلهم يرشح من جلودهم كالمسك ريحاً، ولوناً كالجمان، فإذا البطن قد ضمر كما كان. وإن سألت عن خدمها فالولدان المخلدون، ﴿إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً * منثوراً وإذا رأيت ثَمّ رأيت نعيماً ومُلكاً كبيراً * عاليهم ثياب سندس خُضر وإستبرق وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربُّهم شراباً طهوراً * إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾.

وبالجملة فكل ما ذكرت لك، هو كما جاء في الخبر، وإلا ففي الجنة ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. وإن سألت عن مدة بقائهم في هذا النعيم العظيم، والمقام الكريم الجسيم، فهم أبداً فيه خالدون، أحياء لا يموتون، شباب لا يهرمون، أصحّاء لا يسقمون، فرحون لا يحزنون، راضون لا يسخطون، من خوف القطيعة والطرد أبداً آمنين في مقام أمين ﴿دعواهم فيها سبحانك اللّهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين﴾ فقِس بعقلك هذا الملك العظيم الخطير، وبين قَصرك ذي العمر القصير والقدر اليسير، وانظر إذا فارقته بالشهادة إلى ماذا تصير. إنّ المقام فيما أنت فيه لغرور ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾.

7 ـ وإن قلت أرغب في التأخير لإصلاح العمل، فهذا أيضاً ناتج من الغرور وطول الأمل، وتالله ما ثَمّ تأخير في الأجل المقدور ﴿يا أيُّها النّاس إنّ وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّكم بالله الغرور * إن الشيطان لكم عدوٌّ فاتخذوه عدواً إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾. ليس هذا والله إلا من مصائد إبليس اللعين، لا من مقاصد الأولياء الصالحين، أليس الصحابة وأخيار التابعين، أولى منك بهذا القصد إن كنت من الصادقين، لو ركنوا إلى تأخير الآجال، لما ارتكبوا في الله عظيم الأهوال، ولما جاهدوا المشركين والكفار، واقتحموا البلاد والأمصار، ألا تُصغي ـ بأذنك ـ يا هذا المفتون إلى قوله تعالى ﴿انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم

خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ألا تلقي بالك ؟ إن كنت فطيناً فهيماً وتُفكِر في قوله تعالى ﴿وفضّل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً﴾ وفي الحديث «إنَّ قيام الرجل في الصفِ في سبيل الله أفضل من عبادته في أهله سبعين عاماً». أيها المغرور وإن نوم المجاهد أفضل من قيام وصيام الدهور، وسيأتي لهذا مزيد بيان، وبالله المستعان. وهب أنك صادق فيما تقول، أليس عملك متردداً بين الردّ والقبول ؟، أليس أمامك ما يفزع ويهوِّل، أليس قدماك يوم الحشر المهوِّل ؟ ولا والله تدري هل ينجيك عملك إن عملت أو يرديك. ﴿والله يعلم ما تُسرون وما تُعلنُون﴾ ﴿ ولئن مُتّم أو قُتلتم لإلى الله تُحشرون﴾.

8 - (وهذا أخطر) وإن قلتَ لا تطيب نفسي بفراق زوجتي وجمالها، وأُنسي بقربها، وسروري بوصالها، فهب أنَّ زوجتك أحسن النسوان، وأجمل أهل الزمان، أليس أولها نطفة مذرة وآخرها جيفة قذرة، وهي فيما بين ذلك تحمل العذرة حيضها يمنعك شطر عمرها، وعقوقها لك أكثر من بِرّها، إن لم تكتحل تعمشت عينها، وإن لم تتزين ظهر شَيْنُها، وإن لم تمتشط شعثت شعورها، وإن لم تدهن طفى نورها، وإن لم تطيب تفلت، وإن لم تتطهر نتنت، كثيرة العلل، سريعة الملل، إن كبرت آيست، وإن عجزت هرمت، تحسن إليها جهدك فتنكر ذلك عند السخط. كما قال ﷺ «لو أحسنت إلى إحداهنّ الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط» تروم منها أقذر ما فيها، وتخاف هجرها، وتخشى تجافيها، يحملك حبها على الكد والتعب، والشقاء

الشديد والنصب ، توردك الموارد المهلكة وترضى في أدنى هواها بهلاكها وما أوشكه ، تودك لمرادها منك ، فإن فات أعرضت عنك وهجرتك وطلبت سواك ، وملّتك وأظهرت قلاك ، وقالت بلسان حالها ، إن لم تفصح بمقالها واصلني وأنفق ، أو فارقني وطلّق ، وبالجملة لا يمكن أن تستمتع بها إلا على عِوج ولا تدوم صحبتك إيّاها إلا مع ضيق وحرج ، يالله العجب كيف يقعدك حب هذه ، عن وصال من خُلقت من النور ، ونشأت في ظلال القصور ، ومع الولدان والحور ، في دار النعيم والسرور والله لا يجفُّ دم الشهيد حتى تلقاه ، وتستمتع بشهود نورها عيناه ، حوراء عيناء ، جميلة حسناء ، بكر عذراء ، كأنّها الياقوت لم يطمثها قبلك إنسٌ ولا جان ، كلامها رخيم ، وقدُّها قويم ، شعرها بهيم ، وقدرها عظيم ، جفنها فاتر ، وحسنها باهر ، وجمالها زاهر ، ودلالها ظاهر ، كحيل طرفها ، جميل ظرفها ، عذب نطقها عجب خَلْقُها ، حسن خُلقها ، زاهية الحلى ، بهية الحلل ، كثيرة الوداد ، عديمة الملل ، قد قصرت طرفها عليك ، فلم تنظر سواك ، وتحببت إليك ، بكل ما وافق هواك ، لو برز ظفرها لطمس بدر التمام ، ولو ظهر سِوارها ليلاً ، لم يبق في الكون ظلام ، ولو بدا مِعصمها لسبى كل الأنام ، ولو اطلعت بين السماء والأرض لملأ ريحها ما بينهما ولو تفلت في البحر المالح ، عاد كأعذب الماء كلما نظرت إليها ازدادت في عينك حسناً وكلما جالستها زادت إلى ذلك الحسن حسنا ، أيجمل بعاقل أن يسمع بهذه ويقعد عن وصالها . كيف وله الجنة من الحور العين أمثال أمثالها . واعلم أن فراق زوجتك تلك لا بد منه ، وكأن قد وقع ، والجنّة - إن شاء الله - تجمع بينكما ونعم المجتمع ، وما بينك وبين وصلها

إن كانت من الصالحات إلا وقت لا بد من فراقك لها فيه وهو الممات، فتجدها في الآخرة أجمل من الحور العِين بما لا يعلمه إلا رب العالمين، قد ذهب ما تكره منها، وزال ما يسوء عنها، وحسن خُلُقها، وكمل خَلْقُها كحلاء نجلاء حسناء زهراء بكراً، عذراء، قد طهرت من الحيض والنفاس وكرمت منها الأنواع والأجناس، وزال اعوجاجها، وزاد ابتهاجها، وعظمت أنوارها، وجلّ مقدرها، وفضلت على الحور العِين في الجمال، والأنوار، كفضلهن عليها في هذه الدار؛ فأعرض عنها اليوم لله فسيعوّضك الله عنها، وإن كانت من أهل الجنّة فلا بد لك منها، ولا يلهِيَنّك يا هذا عن دار القرار الاغترار بشيء من زخرف هذه الدار، فوالله ما هي بدار مقام، ولا محل اجتماع والتئام، دارٌ إن أضحكت اليوم أبكت غداً، وإن سرّت أعقب سرورها الردى، وإن جلّت فيها النعم جميعاً، حلّت فيها النقم سريعا، إن أخصبت أجدبت، وإن جمعت فرّقت، وإن ضمت شتّتت، وإن نقصت تغصت، وإن أغنت عنت، وإن زادت أبادت، وإن عمرت دمّرت، وإن أسفرت أدبرت، وإن راقت أراقت، وإن صافت حافت، وإن عمت بنوالها عمّت بوبالها، وإن جادت بوصالها جادت بفصالها، قربها بعيد، وحبيبها طريد، شرابها سراب، وعذبها عذاب، دار الهموم والأحزان، والغموم والأشجان، والبين والفراق، والشقاء والشقاق، والوصب والذهب، والمشقة والتعب، كثيرها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وجليلها حقير، غزيرة الآفات، كثيرة الحسرات، قليلة الصفا، عديمة الوفا، لا ثقة بعهودها، ولا وفت بوعودها، محبها تعبان، وعاشقها ولهان، والواثق بها خجلان، قد سترت

معايبها ، وكتمت مصائبها ، وأخفت نوائبها ، وخدعت بأباطيلها ، وغرت ببراطيلها ، ونصبت شباكها ، ووضعت أشراكها ، وبهرجت زيفها ، وجردت سيفها ، وأبدت ملامحها ، وسترت قبائحها ، ونادت الوصال الوصال أيها الرجال ، فمن رام وصالها ، وقع في حبالها ، وبدا له سوء حالها ، وعظم نكالها ، ووقع في أسرها ، لجهله بشرِّها ، وحاق به مكرها ، حيث لم يتبصر في أمرها فعضّ يديه ندماً ، وبكى بعد الدمع دماً ، وأسلمه ما طلب إلى سوء المنقلب ، وجهد في الفرار فما أمكنه الهرب ، فتيقَّظ لنفسك يا هذا قبل الهلاك ، وأطلق نفسك من أسرها قبل أن يعسر الفكاك ، وانهض على قدم التوفيق والسعادة عسى الله أن يرزقك من فضله الشهادة ، ولا يقعدك عن هذا الثواب ، سبب من الأسباب ، فذو الحزم السديد ، من جرّد العزم الشديد ، وذو الرأي المصيب من كان له في الجهاد نصيب ، ومن أخلد إلى الكسل وغرّه الأمل ، زلت منه القدم ، وندم حيث لا يغني الندم ، وقَرَع السِنّ على ما فرّط وفات إذا شاهد الشهداء في أعلى الغرفات ﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ ، ﴿ وحسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ . انتهى .

تعليق : حبذا لو يطبع هذا النص ويوزّع على الإخوة ، ففيه موعظة بالغة نافعة فقد وضع الإمام ابن النحاس بهذا المبحث النفيس الاصبع على المواطن التي بسببها يقعد الناس عن الجهاد في سبيل الله تعالى وإن تظاهروا بعلل وأسباب واهية كاذبة ، والويل لمن يصنع هذا الصنيع يوم القيامة ﴿ يومئذ تُعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ .

ويكون الإمام ابن النحاس قد قدّم لنا خدمة جليلة، وكيف لا وهو القائل في مقدمة كتابه المشارع ما يلي:

«ولما رأيت الجهاد في هذا الزمان - أي زمانه - قد درست آثاره فلا تُرى، وطمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مقمراً وأظلم نهاره بعد أن كان نيّراً، وذَوَى غصنه بعد أن كان مورقاً، وانطفأ حسنه بعد أن كان مشرقاً، وقفلت أبوابه فلا تطرق، وأهملت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض وصمتت طبوله فلا تنبض، وربضت أُسوده فلا تنهض، وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض، وأغمدت السيوف من أعداء الدين إخلاداً إلى حضيض الدعة والأمان، وخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان وآمت عروس الشهادة إذ عُدمت الخاطبين، وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين، فلا تجد إلا من طوى سباط نشاطه عنه أو اثّاقل إلى نعيم الدنيا الزائل رغبة منه، أو تركه جزعاً من القتل وهلعاً، أو أعرض عنه شحّاً على الإنفاق وطمعاً، أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضي بالحياة الدنيا من الآخرة، وما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل.

أحببت أن أوقظ الهمم الرُّقَّد وأنهض العزم المقعد، وألين الأسرار الجامدة وأبين الأنوار الخامدة بمؤلَّف أجمعه في فضل أنواع الجهاد والحض عليه...» وسأل الله تعالى أن يرزقه الشهادة في هذا الكتاب وذلك في قوله «إليك اللٰهم نمد أكف الضراعة أن تجعلنا منهم وأن لا تحيد بنا عند قيام الساعة عنهم وأن ترزقنا من فضلك شهادة ترضيك

عنا، وغفراً للذنب الذي أثقل الظهر وعنا، وقبولاً لنفوسنا إذا عرضناها لك تفضلاً منك ومنّا، وحاشا كرمك أن نؤوب بالخيبة مما رجونا وأملنا وأنت أرحم الراحمين».

وقد قال الإمام الحافظ ابن حجر في ابن النحاس «وكان ملازماً للجهاد بثغر دمياط وفيه فضيلة تامة».

وقال السخاوي «وكان حريصاً على أفعال الخير، لا يتكبر بمعارفه بل ربما يتوهمه من لا يعرفه عامياً مع الشكالة - الهينة - الحسنة واللحية الجميلة والقصر مع اعتدال الجسم، أكثر المرابطة والجهاد حتى قتل شهيداً».

وقال ابن العماد الشيخ الإمام العلاّمة القدوة «وفي سنة 814هـ هجم الفرنج على أهل "الطينة" قرية في مصر وخرج أهل دمياط لنجدتهم وكان كبيرهم ابن النحاس ودارت معركة كبيرة بينهم فقتل مقبلاً غير مدبر».

وهكذا كان أهل العلم أخي في الله. أسأل الله تعالى من سويداء القلب أن يرزقني الشهادة في سبيل إعلاء كلمته.

آمين

كتبها العبد الفقير إلى مولاه

أبو عبد الفتاح بسجن البليدة العسكري

في 1992/6/17

الرسالة الرابعة

مقالة خاصة بالنساء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز ﴿ وضربَ الله مثلاً للذين آمنوا امرأةَ فرعون إذ قالت ربِّ ابنِ لي عندكَ بيتاً في الجنّة ونَجّني من فرعون وعمله ونَجّني من القوم الظالمين﴾ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل «إنّما النساء شقائق الرجال» وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذه المقالة المتواضعة موجّهة لكل مسلمة ـ أماً، وزوجة، وأختاً ـ تبُصِّرها في بدورها في العمل الإسلامي الخاص بالجهاد في ظل الظروف التي تمر بها الحركة الإسلامية بعد أن طغى النظام واستخدم كل وسيلة جهنّمية لقهر المسلمين، ولا يمكن والحالة هذه أن تبقى الأخت المسلمة بعيدة عن المشاركة في مساندة إخوانها المسلمين غير أنه لا بد من معرفة حدود هذه المشاركة لأنه ـ فعلاً ـ كما تقرر أن النساء شقائق الرجال. ولكن هذا ليس على إطلاقه، ولذلك قال أهل العلم «النساء شقائق الرجال إلا فيما خصّ».

وليكن في منتهى علم الأخت المسلمة أن هذه المقالة تعالج جملة النقاط التي من خلالها تدرك مجالات عملها ومشاركتها في العمل الجهادي بمفهومه الواسع، والخاص بالمرأة المسلمة.

أولاً : بيان حرص المرأة على الجهاد

لقد دلَّت النصوص من القرآن والسُّنَّة أن المرأة المسلمة كانت تتشوّق للجهاد ـ بمعنى القتال ـ مثل الرجل ، وهذا لما علمته من فضل الجهاد في الإسلام ، ومن الأدلة على ذلك :

أ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله نرى الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال أفلا نجاهد ؟ قال «لَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور» رواه البخاري .

وفي رواية ، قالت : قالت امرأة يا رسول الله إنِّي لا أرى عملاً في القرآن أفضل من الجهاد أفلا نخرج فنجاهد معك ؟ قال : «لا ، ولَكُنَّ أفضل الجهاد حج مبرور» .

فها أنتِ يا أختي المسلمة ترين أن المرأة المسلمة أدركت أن لا عمل أفضل من الجهاد فأرادت أن تحمل السيف وتشارك الرجل في الميدان ، ولكن الإسلام رفيق بها حريص على أنوثتها إلا في حالة الضرورة القاهرة جاز لها أن تدافع عن نفسها ، فما أعظم نساء السلف الصالح .

ب ـ «عن أنس رضي الله عنه أنه قال : كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ فأطعمته وجعلت تفلِي رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك . قالت فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال : ناس من أمتي عرضوا عليَّ غُزاة في سبيل الله يركبون ثبج

البحر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسِرّة. قالت فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها رسول الله ثم وضع رأسه ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال: أُناس من أمتي عُرضوا عليّ غُزاة في سبيل الله كما قال في الأول. فقلت: يا رسول الله ادعُ الله أن يجعلني منهم؟ قال: أنتِ من الأولين. فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر» البخاري ومسلم. فها نحن نرى كيف تمنّت هذه الصحابية الجليلة أن تشارك في الجهاد البحري وفضله أعظم من جهاد البر، فدعا لها رسول الله ﷺ واستجيب له. فهل هناك دليل أقطع من هذا في تمنّي النساء العمل الجهادي العسكري زمن رسول الله ﷺ؟.

ثانياً: جواز خروج المرأة لخدمة الجيش

وهذا مفهوم من تراجم أهل الحديث في كتب السُنّة. ومثال لذلك نجد عند البخاري:

- غزو المرأة في البحر.
- حمل الرجل امرأته في الغزو دون بعض نسائه.
- غزو النساء وقتالهن مع الرجال.
- مداواة النساء الجرحى في الغزو.

وعند مسلم مثلاً:

- غزو النساء مع الرجال.
- النساء الغازيات.

قال عبد الرزاق صاحب المصنّف: «كان النساء يشهدن مع النبي المشاهد ويسقين المقاتلة ويداوين الجرحى»، وعند أبي داود «أنهنْ خرجن مع النبي ﷺ في حنين» وفيه «أن النبي سألهنْ عن ذلك، فقلن: خرجنا نغزل الشعر ونعين في سبيل الله ونداوي الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق».

ولا بأس أن أنقل إليك أيتها الأخت المسلمة الفاضلة ما قاله أهل العلم لتكوني على بصيرة:

ـ قال الإمام النووي 12/187 «فيه خروج النساء في الغزو والانتفاع بهنّ في السقي والمداواة ونحوها، وهذه المداواة لمحارمهنّ وأزواجهنّ وما كان منها لغيرهم لا يكون مس بشرة إلا في موضع الحاجة... لأن هذا كان قبل أمر النساء بالحجاب وتحريم النظر إليهنّ... وفي هذا الحديث اختلاط النساء في الغزو برجالهنّ في حال القتال لسقي الماء ونحوه».

ـ وقال الحافظ في الفتح 6/75 «قال ابن بطال دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله «جهادكنّ الحج» أنه ليس لهنّ أن يتطوعن بالجهاد، وإنما لم يكن عليهنّ واجباً لما فيه من مغايرة المطلوب منهنّ من الستر ومجانبة الرجال، فلذلك كان الحج أفضل لهنّ من الجهاد».

ـ وقال أيضاً 6/78 «ويحتمل أن يكون غرض البخاري بالترجمة أن يبين أنهنّ لا يقاتلن وإن خرجن في الغزو».

ـ وقال أيضاً 6/80 «فيه جواز معالجة المرأة الأجنبية الرجل الأجنبي للضرورة».

ـ وقال البغوي في شرح السنّة 12/ص 13. باب الغزو بالنساء «في الحديث دليل على جواز الخروج بالنساء في الغزو كنوع من الرفق والخدمة، فإن خاف عليهنّ لكثرة العدو وقوتهم أو خاف فتنتهنّ لجمالهنّ وحداثة أسنانهنّ فلا يخرج بهنّ».

ومن خلال هذه النقول نفهم أن عدم وجوب الجهاد على المرأة لا يعني عدم جواز المشاركة للجيش، فقد كان الرسول ﷺ يخرج بعض نساءه في الغزوات كما هو معلوم، ولا شك أنه إذا حاق بالمسلمين والحالة هذه فللمرأة أن تدافع وتصاول، والأمثلة لهذا المعنى كثيرة وإن كان القصد في الخروج إنما للمداواة والسقي ونحو ذلك وفي حدود الشرع. وأكتفي بمثالين لذلك:

أ ـ قالت نسيبة بنت كعب رضي الله عنها «لما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله فقمت أُباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إليّ. وفيها يقول رسول الله ﷺ ما التفتُ يميناً ولا شمالاً إلا رأيتها تقاتل دوني».

ب ـ ما حدث لأم حكيم بنت الحارث بن هشام في وقعة الصُفر، فقد كانت تحت عكرمة ابن أبي جهل فقتل عنها بأجنادين فاعتدت أربعة أشهر وعشراً، وكان يزيد بن أبي سفيان يخطبها وكان خالد بن سعيد يرسل إليها في عدتها يتعرض للخطبة، فخطبت إلى خالد بن سعيد فتزوجها على أربع مائة دينار. فلما نزل المسلمون مرج الصفر أراد خالد أن يعرس بأم حكيم فجعلت تقول: لو أخرت الدخول حتى يَفُضّ الله هذه الجموع. فقال خالد: إن نفسي تحدثني اني أُصاب في جموعهم. قالت: فدونك، فأعرس بها عند القنطرة التي بالصفر، وفيها سميت قنطرة أم حكيم، وأولم عليها في صبح مدخله، فدعا أصحابه على طعام فما فرغوا من الطعام حتى صفت الروم

صفوفهـا، فلما كانت المبارزة وبرز خالد بن سعيد فقاتل فقتل، وشدت أم حكيم عليها ثيابها وغدت وإن عليهـا درع الخَلوق في وجهها، فاقتتلوا أشد القتال على النهر وقتَلت أم حكيم يومئذ سبعة بعمود الفسطاط».

وجملة القول أن للمرأة أن تخرج مع محارمها وزوجها بقصد المشاركة من مداواة ونحو ذلك، فإذا داهم العدو وعجز الرجال، فلها أن تمتشق السيف وتضرب ضرب غرائب الإبل.

والثابت في سيرة نساء الصحابة أنّهن ـ وإن كنّ لا يباشرن القتال ابتداء ـ كنّ على علم بفنون القتال إذا دفعت الضرورة، ويكفي أن عائشة كانت تقول «لو كنت رجلاً لم أُجاهد إلا في البحر، وذلك أني سمعت رسول الله يقول: من أصابه ميد في البحر كان كالمتشحط في دمه في البر»، وقالت أيضاً «ما أعجز الرجال؟ لو كنت رجلاً ما اخترت على الرباط عملاً».

ثالثاً: جهاد الإنفاق في سبيل الله تعالى

إذا وضع الإسلام الجهاد ـ بمعنى القتال ـ إلا في حالات معينة، فإنه لم يضع عنها الجهاد بالمال في سبيل الله تعالى مهما كان الشيء الذي تنفقه. إذ قال رسول الله ﷺ «اتّقوا النّار ولو بشِقّ تمرة» وقوله في الحديث «سبق درهم مائة درهم». ولقد وردت آيات كثيرة تأمر المؤمنين رجالاً ونساءً بالجهاد بأموالهم في سبيل الله، بل قدمت المال على النفس في مواطن عديدة. وقد يكون الجهاد بالمال أشد ضرورة وأكثر حاجة من الجهاد بالنفس للحاجة الكبيرة إليه في إعداد القوة وتجهيز المقاتلين، ولا يقل المال إرهاباً لنفوس الأعداء عن الجيش المقاتل نفسه، إذ أن الجيش بدون مال لا يمكنه القتال أو مواصلة القتال، حتى أن بعض أهل العلم أوجب على الإمام العادل أو ولي أمر المسلمين أن يأخذه من الأغنياء بالقوة لأجل الجهاد في سبيل الله تعالى حتى لا تتعرض الأمة كلها للأخطار المادية والمعنوية، وذلك معنى التهلكة في قوله تعالى ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ أي ترك النفقة والجهاد في سبيل الله. ومن هنا وجب على المرأة المسلمة أن تنفق مالها بإذن زوجها إن كان ماله أو بغير إذن إن كان مالها في سبيل الله تعالى.

وقد ذكر جماعة عن نافع الفهري أنه كانت تأتيه المرأة بالكبة (من الغزل) من الخيوط فتقول خذها في سبيل الله، فيأخذها ويؤتى بثلث الدينار في سبيل الله فيأخذه فيقال له: لقد أغناك الله عن هذا!. فيقول

أجل ، ولكني آخذه منه فيأجره الله ونعطيه نحن فيأجرنا الله. وصدق فيما قال رحمه الله فإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً. فلتسارع الأخت المسلمة للإنفاق في سبيل الله تعالى ولو بالقليل ، لا سيما وقد كانت نساء الصحابة يبذلن جهدهنّ في الإنفاق في سبيل الله والتقرب إلى الله تعالى بمساعدة الغزاة وإدخال السرور عليهم قليلاً أو كثيراً.

رابعاً: أن تكون محرِّضة لزوجها وولدها على الجهاد

لقد أمر الله تعالى بالتحريض على الجهاد في سبيل الله تعالى ﴿ ... وحرِّض المؤمنين عسى الله أن يكفَّ بأس الذين كفروا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيُّها النبي حرِّض المؤمنين على القتال ﴾ وقد قال الإمام علي رضي الله عنه «من حرَّض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره وكان له في كل خطوة في ذلك عبادة سنة»، حتى أن بعض أهل العلم قال أن المحرِّض على الجهاد كالمباشر في الفضل لا في المنزلة لقوله عليه الصلاة والسلام «من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله».

وقد كانت المرأة المسلمة في عهودها الأولى محرِّضة لزوجها وولدها وأهل بيتها ومحارمها على الجهاد وبذل النفس، وإذا أخبرت بقتل زوجها أو ولدها في سبيل الله كانت مثالاً للصبر، والأمثلة في هذا المعنى كثيرة بحمد الله تعالى لمن درس سيرة الصحابيات. وثبت أن بعضهنَّ إذا رجع لها زوجها من ساحة الجهاد مهزوماً لا تفتح له الباب ولا تتزين له ويجد منها جفوة، فما أبرك تلك النساء الخالدات الماجدات. وإليك أختي المسلمة حفظك الله ورعاك:

أ ـ ذكر الحافظ الذهبي: أن الخنساء شهدت القادسية ومعها أربعة بنين لها، فلم تزل تحضُّهم على القتال وتذكِّرهم الجنَّة بكلام فصيح، فأبلوا يومئذ بلاءً حسناً واستشهدوا وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعطيها أرزاقهم.

ب ـ ذكر أحمد بن جعفر بن اللبان في كتابه المسمّى «تنبيه ذوي الأقدار على مسالك الأبرار» أنه كان بالبصرة نساء عابدات وكانت منهنّ أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد، فقام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيباً فحضّهم على الجهاد، وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد على كلامه، ثم وصف الحور العِين، وذكر ما قيل فيهنّ وأنشد في صفة حوراء:

غادة ذات دلال ومرح ... يجد الناعت فيها ما اقترح

خلقت من كل شيء حسن ... طيب فالليث فيها مطرح

زانها الله بوجه جمعت ... فيه أوصاف غريبات الملح

وبعين كحلها من غنجها ... وبخد مسكه فيه رشح

ناعم تجري على صفحته ... نضرة الملك ولألاء الفرح

أترى خاطبها يسمعها ... إذ تدير الكأس طوراً والقدح

في رياض مونق نرجسه ... كلما هبّ له الريح نفح

وهي تدعوه بود صادق ... ملىء القلب به حتى طفح

يا حبيباً لست أهوى غيره ... بالخواتيم يتم المفتتح

لا تكوننّ كمن جد إلى ... منتهى حاجته ثم جمح

لا فما يخطب مثلي من سها ... إنما يخطب مثلي من ألح

قال فماج الناس بعضهم في بعض واضطرب المجلس، فوثبت أم إبراهيم من وسط الناس وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أَضِنُّ به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الجارية وأنا أرضاها عرساً لولدي، فكرِّرْ ما ذكرت من حسنها وجمالها فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء ثم أنشد:

تولد النور من نور وجهها	فمازج طيب الطيب من خالص العطر
فلو وطئت بالنعل منها على الحصى	لأعشبت الأقطار من غيرما قطر
ولو شئت عقد الخصر منها عقدته	كغصن من الريحان ذي ورق خضر
ولو تفلت من البحر شهد رضابها	لطاب لأهل البر شرب من البحر
يكاد اختلاس اللحظ يجرح خدها	بجارح وهم القلب من خارج السر

فاضطرب الناس أكثر، فوثبت أم إبراهيم وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد! قد والله أعجبتني هذه الجارية، وأنا أرضاها عِرساً لولدي فهل لك أن تزوجه منها، وتأخذ مني مهرها عشرة آلاف دينار ويخرج معك في هذه الغزوة فلعل الله يرزقه الشهادة فيكون شفيعاً لي ولأبيه في القيامة؟ فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبو ولدك فوزاً عظيماً. ثم نادت ولدها: يا إبراهيم! فوثب من وسط الناس وقال لها: لبيك يا أمّاه. قالت: أي بنيّ أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى: أي والله يا أمّاه رضيت

أي رضى، فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوّجت ولدي من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك وترك العود في الذنوب فتقبله مني يا أرحم الراحمين. قال: ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار وقالت: يا أبا عبيد! هذا مهر الجارية تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله، وانصرفت فابتاعت لولدها فرساً جيداً، واستجاءت له سلاحاً، فلما خرج عبد الواحد خرج إبراهيم يعدو والقراء حوله يقرؤون ﴿ إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة ﴾.

قال: فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفناً وحنوطاً وقالت له: أي بنيّ! إذا أردت لقاء العدو فتكفّن بهذا الكفن وتحنّط بهذه الحنوط، وإيّاك أن يراك الله مقصّراً في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها وقبّلت بين عينيه وقالت: يا بنيّ! لا جمع الله بيني وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة. قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو، ونودي في النفير، وبرز الناس للقتال برز إبراهيم في المقدمة فَقَتل من العدو خلقاً كثيراً ثم اجتمعوا عليه فقُتل، قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابي: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها. قال: فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، قال عبد الواحد: فلما بصرت بي قالت: يا أبا عبيد هل قُبلت منّي هديتي فأهنأ، أم رُدّت عليّ فأعزّى؟ فقلت لها: قد قبلت والله هديتك، إن إبراهيم حيٌّ مع الأحياء يرزق. قال: فخرّت ساجدة لله شكراً وقالت الحمد لله الذي

لم يخيب ظنّي وتقبّل نسكي منّي وانصرفت، فلما كان من الغد أتت إلى مسجد عبد الواحد فنادته: السلام عليك يا أبا عبيد بُشراك. فقال: لا زلت مبشرة بالخير، فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قبة خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول لي: يا أمّاه! أبشري فقد قبل المهر وزُفّت العروس.

جـ ـ عن معاذة إمرأة صلة، أنها لما جاءها نعي زوجها وابنها قتلا جميعاً قدمه بين يديه قال لابنه: تقدم فأحتسبك فقتل، ثم قتل الأب، فلما جاءها نعيهما جاءها النساء فقالت: إن كنتنّ جئتنّ لتهنئنا بما أكرمنا الله به فذاك وإلا فارجعن. هكذا كانت المرأة المسلمة حقاً وصدقاً محرّضة لزوجها وولدها على الجهاد في سبيل الله خلافاً لما عليه أغلب النساء في عصرنا الذي قلّ فيه اليقين بالله وضعف الإيمان بالغيب وغلبت الدنيا الفانية على القلوب والله المستعان.

أما مواساة المرأة المسلمة لأخواتها في الله عندما تبتلى أحدهنّ باستشهاد زوجها أو ولدها أو أحد محارمها، أو يسجن واحد منهم ظلماً وعدواناً فحدّث عن البحر ولا حرج فتكثر الزيارات بينهنّ بشكل منقطع النظير.

خامساً

واجب المسلمين

نحو المسلمة التي لحقها ضرر في زوجها أو ولدها

في كثير من الأحيان تصاب الأخت المسلمة ـ أمّاً، زوجةً، أختاً ـ اختباراً وابتلاءً من الله تعالى لها، فلا بد على المسلمين عامة أن يقوموا بواجبهم نحو كل أخت مسلمة، وهذه مسألة لا تحتاج إلى تدليل كثير ويكفي أن نذكر بعض الأحاديث الصحيحة في هذا المجال.

أ ـ قال عليه الصلاة والسلام: «ليخرج من كل رجلين رجل» ثم قال للقاعد «أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير فله مثل نصف أجر الخارج» مسلم.

قال الإمام أبو بكر بن المنذر: وفي هذا الحديث دليل على أن فرض الجهاد ساقط على الناس إذا قام به منهم من فيه الكفاية.

ب ـ وقال أيضاً «من جهّز غازياً في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا» البخاري ومسلم.

وفي رواية «ومن خلف غازياً في أهله بخير وأنفق على أهله فله مثل أجره».

وهناك وعيد شديد لمن خان مجاهداً في أهله فلم يقم بواجبه نحوهم مادياً ومعنوياً. قال عليه الصلاة والسلام «حرمة نساء المجاهدين على

القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة فيأخذ من عمله ما شاء فما ظنكم؟» رواه مسلم.

هذا ما تيسر أيتها الأخت المسلمة من توضيحات وتوجيهات وتذكير والله الموفق.

ملاحظة: هذه التوجيهات أعتبرها هدية متواضعة لكل مسلمة ـ أمًا، وزوجة، وأختاً ـ سقط أحد أفراد عائلتها شهيداً في سبيل الله تعالى تسلية لقلبها، ولكل مسلمة ـ أمًا، وزوجة، وأختاً ـ أحد أفراد عائلتها مسجون في سجون الظلمة الطغاة عساها تجد فيها بعض العزاء.

كما أهديها بصفة خاصة لزوجتي أم عبد الفتاح راجياً من الله تعالى أن يلهمها الصبر والاحتساب، ويوفقها لتنشئة الأولاد على درب الشهادة والجهاد، وأن يجمع بيننا في الجنان إنه رحيم رحمان. وصدق قوله تعالى ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

كتبها السجين ظلماً وعدواناً

أبو عبد الفتاح

بسجن البليدة العسكري في 1993/5/12م

الرسالة الخامسة

رسالة إلى لجنة الحوار "المستقلة"

كلمة حق لا بد منها ولو من وراء القضبان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل في كتابه العزيز ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم هم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ والصلاة والسلام على أشرف المرسلين القائل: (أفضل الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) وقال أيضاً: (إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منهم) وعلى آله وصحبه أجمعين الذين ضحوا في سبيل إعلاء كلمة الله ـ أي شريعته ـ بالنفيس والغالي والرخيص وكانو أذلة على المومنين أعزة على الكافرين.

أما بعد: تحية وسلاماً

هذه الشذرات تصلكم ـ بإذن الله تعالى ـ من وراء قضبان الظلم والجور وبالضبط من الزنزانة رقم 3 بجناح العقوبات والمحكوم عليهم بالإعدام في السجن المذكور أعلاه، يخط سطورها عبدٌ عاهد الله تعالى أن يقول الحق مهما كلفه من أمر ومشقة، قال تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ ولقوله عليه الصلاة

والسلام: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر» ومن هذا المنطلق يطيب لي أن أقول كلمتي فيما أراه حقاً وصواباً وبشكل مختصر لا سيما وقد عالجت جملةً من القضايا في الرسالة المرسلة إلى المحكمة "العليا" أو أقل المظلمة السفلى التي أصبحت آلة طيّعة بيد الحكومة الخفيّة.

ليكن في منتهى علم لجنة الحوار "المستقلة" أنّي قد علمت من بعض وسائل الإعلام أنّه قد تأسست لجنة حوار مستقلة بغيتها الوصول إلى حل للمعضلة السياسية التي تتخبط فيها البلاد منذ توقيف المسار الانتخابي وذلك خلال الندوة الوطنية، وقد لاحظت أن هذه اللجنة صاحبها صخب إعلامي كبير في الأيام الأولى خلافاً لهذه الأيام، إذ بدأ صوتها يخفت ويضعف وسبب ذلك لا يخفى على اللبيب الأريب وكلمتي أختصرها في النقاط التالية:

1 ـ هل اللجنة مستقلة فعلاً؟

لقد سمعنا مراراً وتكراراً أن اللجنة مستقلة ولها كل الصلاحيات لإنجاح ندوة الحوار الوطني فهل هي كذلك يا ترى؟

الجواب عندي وعند كل عاقل أن هذه اللجنة تفتقد لخصائص الاستقلالية وإليكم بعض الأدلة لا كلها:

1 ـ إن هذه اللجنة الذي قام بتكوينها وإخراجها إلى الواقع وتعيين أفرادها إنما هو المجلس "الأعلى" للدولة المغتصب للشرعية

الشعبية بغير وجه حق وهو في حد ذاته هيئة غير شرعية شرعاً وقانوناً ودستوراً، وإن كان هذا المجلس يتبجّح دون حياء أنه حارس القانون والدستور وهو أول من داسه فعلاً: وإذا كان الأمر كذلك فما بني على فاسد فهو فاسد.

2 ـ ثم إن الهيئة المعينة للجنة ـ أي المجلس ـ هي ذاتها غير مستقلة وإنما هي واجهة لحكومة خفية ألا وهي قيادة الجيش وتلك طبيعة الجيش دوما يبحث عن واجهة يحكُم من خلالها، كما جعل بوضياف واجهة وهذه حقيقة لا تحتاج إلى دليل. إذن المعين الحقيقي للجنة هو قيادة الجيش وكلنا يعلم أن الجيش هو الخصم والمتّهم الحقيقي والمتسبب فيما حدث في البلاد من قلاقل وزلازل وكوارث سياسية قاتلة ورغم ذلك كله فهو يتظاهر ـ أي قيادة الجيش ـ بالحياد مخادعة ونفاقاً وبالوطنية وحماية السيادة مكراً ودهاء ونسيت قيادات الجيش المتعاقبة أنها علة علل الجزائر وسبب شقائها وتعاستها وآلامها، وهو منذ الاستقلال الذي حققه الأبطال واستغله أشباه الرجال ولا رجال، ثم أيتها اللجنة أليس الجيش ـ أي القيادة ـ هو الذي أوقف المسار الانتخابي وأقال رئيس الجمهورية؟ أليس الجيش هو الذي أمر بإطلاق النار على المعتصمين في ساحة أول ماي وساحة الشهداء بعد أن تم الاتفاق على ساحات الاعتصام مع حمروش رئيس الحكومة السابق؟! أليس وزير الدفاع السابق هو الذي هدّد بعدم السّماح للجبهة بالوصول إلى سدّة الحكم اثر فوزها في الانتخابات البلدية في تصريح له منشور في

الصحافة ؟ وما تصريح الجنرال التواتي الأخير عنكم ببعيد وهو يحمل في طيّاته مخاطر ومغالطات سافرة. كل ما سبق يجعلنا نقول جازمين أن ما حدث للجبهة الإسلامية للإنقاذ يعتبر مؤامرة كبرى وجريمة عظمى خطط لها مع سبق ترصد وإصرار، فمن أين تأتي الاستقلالية للجنة والحالة هذه ؟! ثم بأي صفة يحضر جلسات اللجنة المستقلة 3 جنرالات وما هي مهمتهم على وجه الدّقة والتحديد وهل يصح عقلاً وشرعاً وقانوناً وعُرفاً أن يكون الخصم الفعلي والحقيقي الوحيد عنصراً في التفاوض أو الحوار لا سيّما ويداه ملطّختان بدماء الأبرياء من أبناء هذا الشعب المسلم الذي اختار المشروع الإسلامي عن طواعية بشهادة الصديق والعدو على حد سواء. إن هذا لشيء عجاب!!

3 ـ لماذا تم الاختيار عليكم أنتم فقط وعلى أي أساس تم اختياركم ؟ ومن رشّحكم لهذه المهمة الخطيرة ؟ وهل تملكون سلطة القرار؟ الواقع يجيب أنه لم يقع الاختيار عليكم من قبل تزكية الشعب ولا من قبل الأحزاب السياسية ذات التمثيل الشعبي والبرلماني، ثم إن أغلب الشعب لا يعرف عنكم شيئاً لا سيّما جيل الشباب، وأنتم تعلمون أن قضايا المصالحة تحتاج إلى شخصيات وطنية بارزة معروفة لدى الكبير والصغير ليكون الأمل في النجاح أوفر، وهل من كان في مثل حالتكم يمكن أن يتمتع بالاستقلالية ؟ وخير دليل على ذلك أنكم عجزتم عن الإجابة عن بعض الأسئلة "المحرجة" وقلتم لا بد من رفعها إلى الجهات العليا فهل هذا هو صنيع المستقلين ؟!

4- إن اللجنة إلى الآن لم تقم بعمل فعلي ملموس يلمسه العام والخاص يدل على مدى استقلاليتها، فلا هي أمرتْ بإيقاف المحاكمات الظالمة في المظالم الخاصة التي وضعت خصيصاً لتصفية المعارضة بغطاء قانوني كما تفعل الأنظمة المستبدة عادة، ولا أمرت بإطلاق سراح المساجين والمعتقلين الذين تغص بهم السجون، ولا هي أمرت بإيقاف المداهمات الليلية ولا بإيقاف حملات التمشيط التي تُذكر الشعب بعهد الاستعمار البائد، ولا أمرتْ بالتحقيق في قضايا التعذيب والخرق الصارخ لحقوق الإنسان، ولا قامت بجولة ولو خاطفة إلى السجون لتطلع على ما فعله المرتزقة واللقطاء المجرمون من رجال الدرك والجيش والأمن - إلا من رحم ربي وقليل ما هم - بشباب الجزائر من فظائع تندك لها قمم الجبال وتتفتت منها الأكباد، لا شيء من هذا قامت به اللجنة ميدانياً فهل هذا هو صنيع لجنة مستقلة تريد مصالحة وطنية ؟!!.

وعلى أي أساس تقوم هذه المصالحة ما لم تعرف الحقائق ويحدد المعتدي ويقدم إلى العدالة أمام الشعب كله وعبر وسائل الإعلام؟ ألم تسمع اللجنة بأن الجيش وبأمر من قيادته المنحلة المترفة أخذت في هذه الأيام الأخيرة تعرض عضلاتها على الشيوخ والعجائز والنساء والأطفال بعد أن زجّ بالشباب والرجال في غياهب السجون أو اغتيلوا في جنح الظلام فهل هذا الصنيع الشنيع أيتها اللجنة مؤشر خير؟ إنّ هذا الصنيع بكل صراحة لا يمكن أن يصدر من جيش يزعم أنه سليل

جيش التحرير العظيم حقاً وصدقاً و إنما هذا الفعل الأهوج لا يصدر إلا من الذين تخرجوا من مدارس فرنسا الاستعمارية الغاشمة في 58 / إلى 61 بعد أن استوت الثورة على الجودي وأدرك المستعمر أن الاستقلال مدركته للجزائر لا محالة فكان هؤلاء من طلقاء الجيش الفرنسي، أو يصدر ممن تخرجوا من المدارس العسكرية الشيوعية الكافرة الحاقدة على الأديان عامة والإسلام خاصة. إن ما قام به الجيش مؤخراً أيتها اللجنة يعتبر وصمة عار وشنار في تاريخه مهما حاول تبرير ذلك فهل من أجل اختطاف 3 فرنسيين تمشط الجزائر كلها ؟! فكم من جزائري قتل في فرنسا فهلا تحركت الجزائر ؟! ولو أطلقت لقلمي العنان في تصوير مدى الظلم والغبن الذي نزل بالشعب الجزائري لجاءت صفحات طوال.

من خلال ما تقدم - وهو قليل من كثير - يتضح بكل جلاء أن اللجنة غير مستقلة البتة، وإذا ثبت أنها غير مستقلة فالأمر عندئذ لا يعدو أن يكون مسرحية لتحقيق جملة من الأهداف وهي :

1 - محاولة امتصاص غضب الأحزاب الباحثة عن موقع في الخريطة السياسية والتي تخاف من الإقصاء أو اتهامها بالإرهاب والتشدد وتنسى هذه الأحزاب أنه لا أحد يملك إقصاء آخر لا سيما المجلس الأعلى للدولة لأنه ببساطة لا يملك شيئاً إلا الاعتداء على الشرعية الشعبية وكان الواجب على الأحزاب أن تقصي هذا المجلس من الأيام الأولى ولكن بتمسحها على الأعتاب أعطته المصداقية الزائفة.

2 ـ إعطاء صورة للدول الغربية أن هناك تحرك ونشاط في البلاد وربما كان هذا المطلب من الدول الغربية ذاتها، وإلا كيف يفسر فسح المجال للنشاط السياسي منذ ظهور اللجنة الوطنية للحوار بينما كانت الأحزاب تشتاق إلى مجرد حوار في جريدة مغمورة فضلاً عن الظهور في الشاشة الخطيرة.

3 ـ ربح الوقت ريثما تكتمل الطبخة المُعدة سلفاً والتي ستفاجئ الجميع.

4 ـ الاتخاذ من فشل اللجنة ـ وهي فاشلة لا محالة لما سبق بيانه ـ مبرراً لتدخل الجيش بطريقة سافرة لا سيما وقد سمعنا أصوات بعض الغربان لا تمانع في تدخل الجيش إذا فشل الحوار وتنسى هذه الأصوات أن الجيش متدخل وداخل ومدخول ودخيل منذ الاستقلال 1962 وعلى تعاقب القيادات، فالقول بأنه إذا فشل الحوار أو الندوة فليأخذ الجيش الزمام مغالطة كبرى مفادها أن الجيش كان في الحياد وفي الظل طوال مدة الصراع السياسي في البلاد وكفى بهذه المغالطة المكشوفة كذباً على الرأي العام، ومن منا يجهل القيادات المتعاقبة على قيادة الجيش هي علة علل الجزائر وأصل محنتها ولا خلاص للشعب الجزائري من المحن والفتن إلا بأن يعرف الجيش حده فلا يتعداه ولا يتخطاه.

تلك بعض أدلتي المتواضعة وحسب ما هو عندي من معلومات على أن اللجنة غير مستقلة إلى أن يثبت العكس فعلاً لا قولاً، وليثبت ذلك ويعرفه العام والخاص لا بد من معالجة المشكلة السياسية وجذورها بعمق

وشجاعة، فلا مصالحة إلا بعد المطارحة والمصارحة والمفاصحة وإلا فلم يبق إلا المناطحة حتى يعود الحق إلى أصحابه، وتلك سنّة الله في الخلق لأنه بغير هذا السبيل تذهب كل الجهود أدراج الرياح، ثم انه لا تتم المعالجة الحقيقية حتى يحدد الطرف الظالم المعتدي على ضوء الأدلة المادية لا على أساس التهم الإعلامية الكاذبة أو السياسية الفارغة والتي يُعطى لها غطاء قانوني كاذب، فالأحزاب التي تنادي بالحوار والمصالحة ولا تعرج على معالجة أصل المشكلة لن تصل إلى نتيجة تذكر، لا سيما وأن هذه الأحزاب لم يقع عليها الحيف والظلم والغبن والسجن والتعذيب والاغتيال والتشريد الذي وقع على الجبهة الإسلامية قيادة وقاعدة ومتعاطفين، بل زاد الأمر خطورة فتعدى إلى كل من يشم منه رائحة مناصرة الحق والدفاع عنه في جميع المجالات، ثم إن هذه الأحزاب خاصة التي ليس لها تمثيل شعبي وبرلماني ليست هي صاحبة القضية لتنصب نفسها منادية بالمصالحة دون مطارحة ومصارحة وتحديد الظالم والتحقيق في ذلك، وقديماً قالوا (ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة) وأغلب هذه الأحزاب لم تعاين ما حدث للجبهة الإسلامية للإنقاذ وقد جاء في الحديث الصحيح «ليس الخبر كالمعاينة إن الله أخبر موسى بما صنع قومه في العجل فلم يُلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح فانكسرت».

ألا فليعلم أن المشكلة لا حل لها حتى يرد الحق لأصحابه وينتصف للمظلوم من الظالم ويقدم للعدالة الذين سفكوا دماء

الأبرياء بغير حق، وأن أسلوب المجاملات والمداهنات التي تقوم به بعض الأحزاب خوفاً على فقدان موقعها في الخريطة السياسية لا يحل المشكلة أصلاً، ثم إن القضايا المصيرية في حياة الأمة لا تحل بالعواطف والتصالح الشكلي الذي تضيع في معالم الحق ويصبح الظالم والمظلوم في درجة واحدة والله يقول ﴿أَفَنَجْعَل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون﴾.

2 ـ من جرائم النظام الذي تقوده الطغمة العسكرية

إن جرائم النظام الجزائري الذي تقوده الطغمة العسكرية والتي ابتلي بها الجيش الوطني الشعبي لا تحصى ولا تعد، ومن في بلادنا لا يعرف مفاسد النظام العسكري، فأغلب الشباب يعرفون ذلك وخاصة الذين خدموا الخدمة الوطنية حيث سبُ الله تبارك وتعالى والمسّ بكرامة الجندي وإذلاله واحتقاره.... إلخ.

إن الحكومة الخفية الفعلية منذ الاستقلال لا تعالج المشاكل السياسية إلا بطريقة القمع والإرهاب، والبتر والقطع وتدبير الاعدامات للأبرياء، والتفنن في اغتيال الرجالات السياسيين في الداخل والخارج والأمثلة شهيرة وما أظن يوسف خطيب تخفى عليه هذه القضايا، ثم إن أغلب الأحداث لم تعالج إلا بالقمع بدءاً بالانقلاب على الشرعية في 1962 وأنا أقول لو تمت مقاومة الذين أرادوا الانقلاب على الشرعية بغير شرعية لكانت القضية حسمت من سنوات ولكن الشعب الذي قال 7 سنين بركات ها هو يذوق ويلات 30 سنة والبركة في القادم!! وكتب الله لنا نحن معشر الشباب أن ندفع ثمن أخطاء الآخرين لأن مولود 91 لم يكن سوء حمل 62 وأرجو من الله تعالى أن تحسم قضية الشرعية في زماننا حتى لا يدفع أولادنا ثمن تقاعسنا في المستقبل كما ندفع نحن الآن ثمن تقاعس آبائنا بالأمس، وأغلب الشباب يدفع ثمن كوارث سياسية لم يصنعها هو ولا كان له دخل فيها. أما الأحداث التي حسمت كلها بالقمع فهي

أحداث 1963 وأحداث 67 وأحداث 76 وأحداث 80 وأحداث 82 وأحداث 86 وأحداث 88 وأحداث 90 وأحداث 91 وهلم جرّى، كل هذه الأحداث تدل على أن معالجة القضايا السياسية تتم دوماً بالعنف والإرهاب والقمع والاغتيالات والتصفيات الجسدية. فالعنف والإرهاب ظاهرة في النظام العسكري الجزائري منذ الاستقلال، ولعله ظن عند توقيف المسار الانتخابي أنه سيفلح كما نجح في المرات السابقة ونسي المثل القائل (ما كل مرّة تسلم الجرّة)، ولكن هذه المرة وجد له رجالاً بالمرصاد، قوّى الله ساعدهم وسدد خطاهم وقهر عدوهم آمين.

ولن أتحدث عن جرائم هذا النظام بالتفصيل إنما أذكر جريمتين لهما علاقة بما نحن فيه من مشاكل وصعاب أو بالقطرة التي أفاضت الكأس والقشة التي قصمت ظهر البعير.

1 ـ جريمة اغتصاب السلطة:

مما لا شك فيه أن الجبهة الإسلامية للإنقاذ دخلت العمل السياسي في الوضوح وحققت الفوز الأول في البلديات والثاني في المجلس الوطني الشعبي بكل نزاهة وبكفاءة عالية في التخطيط والتجنيد والتوعية في جميع أنحاء الوطن رغم سجن قادتها ومتابعة العناصر الفاعلة ورغم التهم التي ألصقت بها كذباً وتضليلاً رغم ذلك شنت حرباً بكل حزم وثبات وأظهرت أنها جبهة مبادئ لا أشخاص، فما أن

سجن قادتها حتى جاء قادة شباب لا تعرفهم الساحة كثيراً ولكن حملوا نفس المبادئ فحقق الله النصر على أيديهم، وهكذا دواليك كلما سجن قائد خلفه آخر لأن القضية ليست قضية أشخاص بقدر ما هي قضية عقيدة ومبدأ لا يموت بموته أصحابه ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ وصدق الصديق عندما قال «من كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌ لا يموت ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات».

والجبهة بحمد الله لم تكن تربي الأتباع والجنود وإنما تربي القادة ولذلك ظلت صامدة بفضل الله تعالى رغم تكالب قوى الشر عليها، ولو أن حزباً تعرض لعشر معشار ما تعرضت له الجبهة الإسلامية لأصبح أثراً بعد عين، وقد طرحنا في القانون السياسي أن منهجنا هو منهج الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين وسياستنا سياسة شرعية، وأخذنا على أنفسنا عهداً أن نسلك المسلك السلمي في الصراع السياسي والوصول إلى السلطة ما دام النظام ملتزماً بذلك المسلك، وهدفنا إقامة دولة إسلامية بمحض اختيار الشعب الجزائري المسلم وعبر صندوق الاقتراع، وأن يكون الدستور وقانون البلاد موافقاً للكتاب والسنة، ولكن ما إن فازت الجبهة الإسلامية حتى شن النظام الطاغية انقلاباً ضد اختيار الشعب وأوقف المسار الانتخابي وفتح المحتشدات والسجون للأبرياء كما هو معروف فكان بذلك مرتكباً لجريمة اغتصاب السلطة وهي جريمة يعاقب الإسلام عليها بالقتل، وذلك أن الإسلام لا

يقر طريقاً للوصول إلى السلطة إلا بالبيعة الشرعية ومحض اختيار الأمة، وإذا كان الإسلام يحرم الاعتداء على حق الأفراد فما بالك بحق الأمة في اختيار حكامها وولاة أمرها؟، وتحريم اغتصاب السلطة أمر مستقر في فكر الصحابة السياسي والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله عليه الصلاة والسلام «من بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع فإن جاء ينازعه أحد فاضربوا عنق الآخر» رواه مسلم. قال النووي «معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فاقتلوه فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتله ولا ضمان فيه لأنه ظالم متعد في قتاله» 235/12.

وقال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا» ـ رواه البخاري ـ والمعنى أي خوفاً من وقوعهما في القتل، قال الحافظ «من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل» وقال عمر أيضاً «فمن بايع أميراً من غير مشورة المسلمين فلا بيعة له ولا بيعة للذي بايعه» ـ المسند 327/1، وعمر بن الخطاب لا يكتفي بقتل المغتصب وإنما بقتل من يقبل به ويعينه، وقد أقرّ الصحابة عمر على ذلك دون مخالف وقال أيضا «من دعا إلى إمارة نفسه أو غيره من غير مشورة من المسلمين فلا يحل لكم إلا أن تقتلوه» ـ عبد الرزاق 441/5 هذا حكم الغاصب الذي يأخذ السلطة بالقوة من غير أن تعطيه إياها الأمة تجب مقاتلته بالسلاح حتى يمنع

من اغتصاب السلطة وحتى تَسترد منه وتَعاد للأمة. قال الدكتور عارف في كتابه وظيفة الحاكم ص 90: «فعمر يعلم أن أمر الخلافة لا ينعقد إلا بمشورة من المسلمين، وأنه ليس من حق إنسان مهما كان أن يسلب هذا الحق من جماعة المسلمين، ولو فعل ذلك فلا يجوز أن يُعان عليه بل الواجب على المسلمين قتله وقتل من أعانه».

وقال الإمام ابن حجر الهيثمي «المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يشير ولا يؤمر بإحسان فيما تغلب عليه بل إنما يستحق الزجر والمقت والإعلام بقبح أعماله وفساد أحواله»، وقال الباقلاني «فإن دفعونا عليه وعقدوا لبعض موافقيهم فليس له إمامة ثابتة ولا طاعة واجبة وكنا نحن في دار قهر وغلبة»، فالاغتصاب للسلطة جريمة يستحق صاحبها القتل، وللأمة أن تدافع عن حقها بحد السيف حتى يرجع الحق إلى نصابه وأصحابه، لأن المغتصب باغتصابه للسلطة يُعرض الأمة للهلاك والدمار، ولذلك لما أُشير على ابن عمر بالخلافة بعد مقتل عثمان امتنع عن ذلك محذراً من العواقب الوخيمة قائلاً «إن لهذا الأمر انتقاماً والله لا أتعرّض له فالتمسوا غيري» ـ الطبري 432/4. ففي كلمة ابن عمر تصوير بارع دقيق لما يخلفه الوصول إلى السلطة غصباً من أثر سيء في الأمة.

فمن خلال ما تقدم أقول جازماً أن المتسبب فى إراقة الدماء كلها هم قيادة الجيش التي أقدمت على تلك الخطورة المتهوّرة

واغتصبت السلطة متخذة في ذلك دعاوى باطلة لا أساس لها من الصحة فكيف تكون مصالحة مع من أدخل البلاد في الهلاك والدمار ثم راح يبكي عليها؟ وصدق المثل (يداك أوكتا وفوك نفخ) فالواجب محاكمة هؤلاء لا الجلوس معهم جزاء ما فعلوا في حق الشعب وإلا نكون بذلك قد شجّعنا المغتصبين وخالفنا حكم الله تعالى فيهم.

ولقد شجّع هذا الاغتصاب لجنة انقاذ الجزائر الشبيهة بلجنة إنقاذ الجزائر التي تزعمها الجنرال ماسوا في 13 ماي 1958 من الفلاقة والإرهابيين والمقصود بهم جيش التحرير والثوار فما أشبه الليلة بالبارحة. وممن ساعد على اغتصاب السلطة بعض الأحزاب التي لا تمثيل لها ولا وزن وهناك بعض الأحزاب أخذت تفاوض النظام بطريقة أو بأخرى في مكان الجبهة الإسلامية وهذا الصنيع شبيه بوعد بلفور «إن من لا يملك أعطى وعداً لمن لا يستحق» والأدهى من ذلك أن هذه الأحزاب لا يقولون للضارب لا تضرب ولكن يقولون للمضروب ظلماً لا تصرخ.

ومن الذين ساعدوا الاغتصـــاب قوى الغرب الذي يدعي الحرية والديمقراطية رغم أن الغرب لا يسمح البتة بالوصول إلى السلطة عن غير طريق الصندوق، ولكن الغرب لا يســاند إلا الديمقراطية التي تخدم مصالحة فقط. ألم تقم وكالات المخـابرات باســم الديمقراطية بالتخطيط لاغتيال أليندي الذي اختير بصفة حرة

وقتل في يوم واحد 25 ألف مواطن واعتقل في اسبوع واحد 200 ألف وفق تقدير لجنة العدل الدولية؟. ألم تدبر الديمقراطية الأمريكية اغتيال كل من لومونبا ومكاريوس. ألم يقم انقلاب على ثورة مُصدق في إيران 1954 أيام روزفلت؟. ألم يفضح جون ماركس أحد مولفي (عمارة المخابرات) حجم الاغتيالات التي يخطط لها رجال المخابرات الأمريكية وشهادة وليام كولبي أن في مشروع التهدئة في جنوب فيتنام اغتيل على ما يزيد عن 25 ألف شخص، ثم هل يعقل لبلد يدعي الحرية والديمقراطية في أراضيه ثم يحاربها بالانقلاب أو تشجيعه في بلاد شعوب أخرى؟ وهذا ما قاله نهرو عن المخابرات الأمريكية (لا إنها القوة الشريرة الملعونة في زماننا المعاصر).

المهم أن دول الغرب وعلى رأسها أمريكا لا تؤمن إلا بالمصالح فقط بغض النظر عن النظام، ولذلك هي تحارب حكم عسكري هنا وتساند آخر هناك، فالقضية ليست قضية ديمقراطية مزعومة وإنما مصالح ثابتة لا أكثر ولا أقل. وهي التي تمارس الإرهاب الدولي تحت غطاء مجلس الأمم المتحدة والواقع في العراق وليبيا والصومال وإلا كيف نفسّر أن حركة ليونيطة خسرت في الانتخابات ورغم ذلك أمريكا تساندها وتطلب منها المصالحة مع النظام الفائز وهذه سابقة لا مثيل لها بينما مجلس الأمم المتحدة لم يتكلم كلمة واحدة عمّا حدث في الجزائر، وهذا عندنا معشر المسلمين غير

مستغرب لقوله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملّتهم﴾ وإن القروض التي تعطى للجزائر إنما هي في الحقيقة مساندة لمن أفلس الأمة وسرق خيراتها دعماً للطغمة العسكرية التي أفسدت البلاد والعباد وهم من أعرف الناس بهم، ونحن نقول أن هذه الأموال والدعم المالي يصدق فيه قول الله تعالى ﴿إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنّم يحشرون﴾.

وخلاصة القول أن الاغتصاب للسلطة حرام شرعاً وصاحبه يستحق العقاب جزاء جريمته، وأن الذين ساندوا الاغتصاب كلجنة إنقاذ الجزائر والأحزاب التي لا وزن لها وكذا الدول الغربية التي لا ترضى بمثل هذا التصرف في بلادها بل تطالب بمقاومته كل ذلك لن ينجح بإذن الله تعالى طال الزمن أم قصر لأن العاقبة للمتقين.

2 ـ جريمة الغدر وإخلاف الوعد:

لا شك أن اغتصاب السلطة بعد الاختيار الحر ودون إكراه أو إجبار أو قهر وبشهادة الجميع يعتبر غدراً فظيعاً لا نظير له لا سيما أنه صدر من السلطة، لأنه ببساطة يتنافى مع فضيلة الوفاء بالعهد التي أمر الإسلام بها في مواطن كثيرة ﴿وأوفوا بالعهد إنّ العهد

كان مسؤولاً ﴾ وقد جاء في السنة الصحيحة الوعيد للغادر الكاذب، قال عليه الصلاة والسلام «لكل غادر لواء يوم القيامة بقدر غدرته ينصب عند أسته بحذائه ولا غادر أعظم لواء من أمير عامة» والمعنى أن الغادر هو المتغلب الذي يصير أميراً بلا مشاورة من أهل الحل والعقد وهو تفسير التوربستي على المصنف 346/11. وكم مرة غدر النظام بنا وأخلف الوعد مرة مع حكومة حمروش وما أحداث 4 جوان عليكم ببعيدة، فقد غدروا بالشباب ليلاً رمياً بالرصاص المتفجر والممنوع دولياً ومع غزالي، ثم الغدر وإخلاف الوعد ومع رئيس الجمهورية الشاذلي ومع الجيش الذي تعهد بالبعد عن السياسة بعد دستور 88، والظاهر من السوابق التاريخية أن الغدر والمكر وإخلاف الوعد والكذب طبيعة متأصلة في قيادات الجيش المتعاقبة، فهم ينقضون عهدهم في كل عام مرة أو مرتين وقد أمر الله تعالى بقتال أئمة الكفر إذا أخلفوا الوعد وطعنوا في الدين ﴿ **وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون * ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين** ﴾.

وأما الإسلام فقد أمر المسلمين بالوفاء بالعهد ولو أدى ذلك إلى عدم نجدة إخوانهم المسلمين محافظة على شرف الوفاء بالوعد والعهد والميثاق، قال تعالى ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا**

على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾ فالواجب أن يحاسب النظام على غدره بالأمة وبالشعب كما حدث في أكتوبر 88 جوان و 90 ولماذا لا تثير الأحزاب مثل هذه القضايا لتضع السلطة على المحك الحقيقي أم أنها تخاف أن تتهم بالإرهاب أو مساندة الإرهابيين؟ ويسحب الاعتماد منها وتغلق مقراتها ويحدث لها مثل ما حدث للصحافة الحرة التي ساندت اختيار الشعب فعلقت وشنقت وفُسح المجال للفئران الناخرة فهل بعد هذا الغدر المتكرر من السلطة تبقى ثقة في هذه السلطة التي سرعان ما تنقلب إلى وحش كاسر ريثما تلتقط أنفاسها. إن من يغتر بهذه السلطة لا يعرف معنى قوله عليه الصلاة والسلام «لا يلدغ المؤمن من حجر مرتين» فكيف من لدغ منه مراراً؟!! منذ 1962 وإلى اليوم. وهذه المنقصة يعرفها العام والخاص في النظام وتسربت إلى جميع المؤسسات والإدارات فلا نجد إلا الغدر وإخلاف الوعد والكذب والمداهنة والناس على دين ملوكهم كما يقولون.

ولكن بعض الأحزاب مهتمة بتقسيم الجبهة تارة إلى عقلاء وغيرهم ومعنى هذه الجملة أن هناك عقلاء ومجانين متهورين وينسى هؤلاء أن الرسل الذين أمروا بتبليغ الرسالات اتهموا بالجنون، قال تعالى ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسولٍ إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾ وقال عن الرسول الكريم ﴿فذكّر فما أنت بنعمتِ ربّك بِكاهن ولا مجنون﴾، وتارة يفتعلون خلافاً بين الجناح

العسكري والسياسي وهما جناحان لطائر واحد وينسى هؤلاء أن الخلاف من طبائع البشر وخاصة في الأمور المصيرية الحساسة وما دام الخلاف لم يتحوّل إلى نزاع فهو محمود ولا غبار فيه لا سيما إذ كان في الإطار الشرعي السمح المعتدل اعتدالاً شرعياً لا انهزامياً كما في قيادات الجيش.

قال عليه الصلاة والسلام «إذا رأى الناس الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب». من هذا المنطلق نقول أن قيادة الجيش الفاسدة المستبدة قد ورطت الجيش الوطني الشعبي في معركة وسخة من أجل الحفاظ على مصالحها الذاتية، حتى تحول الجيش إلى عصابات القتل والتدمير وبث الرعب في نفوس الآمنين وزرع الإرهاب الحقيقي وسط الأمة. وصدق المثل القائل (رمتني بدائها وانسلت) وإني لأتعجّب من أن معظم الأحزاب لها الجرأة على نقد المعارضة ومعارضة المعارضة وكذا على نقد الوزراء ورؤساء الحكومات بشدة وعنف ـ والذين لا يملكون من أمرهم نقيراً ولا قطميراً لأنهم عرائس قراقوز تحرك خيوطهم الحكومة الخفية التي يتزعمها الجيش ـ ولكن عندما يصلون إلى المؤسسة المسؤولة عن الفساد منذ سنة 1962، يراوغون ويداهنون بل ينافقون ويقولون خلاف ما يعتقدون، فهذا يقول هي صمام الأمن!! وهذا يقول أنها العمود الفقري للبلاد!! وآخر يقول هي المؤسسة الوحيدة الحيادية!! وهم في قرارة أنفسهم يعرفون أن الجيش لم يتخل عن حكم البلاد

منذ 1962 وأن قياداته المتعاقبة هي سبب المحن التي وصلت إليها الجزائر.

فلماذا هذا النفاق والتململ والمداهنة أليس الجيش هو المؤسسة الوحيدة المدللة؟ أليست ميزانيتها غير خاضعة لضوابط؟! أليس قيادات الجيش من أصحاب القصور الفخمة الضخمة؟! أليس الجيش هو القامع دوماً للشعب؟! أليست المؤسسات العسكرية ترمى فيها أطنان الخبز والشعب لا يجد لقمة العيش؟! أليست مؤسسة الجيش تستحوذ على المراكز الحساسة في البلاد؟! أليست قصورهم فيها المسابح المائية المكيفة في الوقت الذي نجد فيه قرى بأكملها في الصحراء والمداشرة لا تحصل على قطرة الماء إلا بشق الأنفس؟! وبعض الأماكن منذ أكثر من 30 سنة ما زالوا يسكنون الكهوف والقائمة طويلة من مخازي قيادة الجيش في طول البلاد وعرضها لا تخفى عن أحد، فلماذا هذا النفاق أليس هذا تمكيناً للجيش ليزداد غطرسة وشموخاً وعتواً في الأرض بغير الحق؟! فعلى الأحزاب إن كانت فعلاً تحترم نفسها وتدافع فعلاً عن حق الشعب، ولا تطمع في منصب سياسي أو موقع على الخريطة السياسية بأي ثمن ولو على حساب المبادئ، أن تصدع بالحق وأن تقول للجيش الحقيقة وأن تلزمه حده، فلا يتعداه ولا يتخطاه، والجيش نفسه يعرف أن هذه الأحزاب منافقة ولكن يخادعها حتى يحصل منها على تصريحات ويضخمها إعلامياً حتى إذا تدخل قيل أليست الأحزاب هي التي

طالبت بذلك وشهدت لي بالنزاهة والحياد والوطنية؟. إن النفاق السياسي مقتارة خطيرة، وربما اتخذ الجيش من هذه المواقف المنافقة وسيلة لعزل الجبهة الإسلامية وتصفيتها، وهيهات ثم هيهات أن يتحقق له ذلك بعون الله تعالى.

كلمة أخيرة:

اعلمي أيتها اللجنة أنه لا مخرج لهذه الأزمة إلا بالرجوع إلى الكتاب والسنة لقوله تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسنُ تأويلا﴾، قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلموا تسليماً﴾ فإن لم يرض طرف بذلك فإنما هو من المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدُّون عنك صدوداً﴾ لأن كل حكم خارج عن الكتاب والسنة إنما هو حكم الطاغوت لقوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يُضلكم ضلالاً بعيداً﴾ وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾، هذا هو المخرج الوحيد للأزمة لا غير، بالإضافة إلى ذلك - وهو شيء أساسي - أن يقدم إلى العدالة من تسبب في إيقاف المسار الانتخابي الذي نجم عنه سفك الدماء وقتل الأبرياء وترميل النساء ومجمعات التعذيب الفظيع وحملات المداهمات والاغتيالات، ولن تكون هناك لجنة "مستقلة" إلا اللجنة التي تنبع من صلب الأحزاب ذات التمثيل الشعبي والبرلماني وأمام

التلفزة مباشرة لا في الكواليس ومطابخ المخابرات الخفية. أما أن تنبع اللجنة من رحم الخصم فالحية لا تلد إلا حية بارعة في المناورة والمراوغة، فالذي جرّ البلاد للخراب والفساد والدمار لا يمكن أن يكون عنصر وفاق أو اتفاق لأنه كما قيل (إنك لا تجني من الشوك العنب)، ولقد طلب إخواني الشيوخ حفظهم الله لجنة مستقلة منذ أيام المحاكمة فلم يُسمع لقولنا ولو حصل ذلك منذ مدة لكنا اليوم في وضعية أحسن، ذلك أن اللجنة رغم أنها غير مستقلة في رأي، فهي جاءت متأخرة جداً ولا بد من تحديد الظالم من العناصر الإنقلابية وتقديمها للعدالة لتنال جزاءها ولا تفلت من الجريمة العظمى التي ارتكبت بحق الشعب فضلاً عن إلغاء كل الإجراءات التي تمخضت بعد إيقاف المسار الانتخابي. أما الذين يحلمون بمصالحة تتصافح فيها الأيدي وتتعانق فيها الأجساد دون ما سبق ذكره فلن يجنوا إلا الخيبة والبوار، لأن مشاكل الشعوب لا تعالج بالعواطف والتصالح الشكلي الذي تضيع فيه معالم الحق ويصبح الظالم والمظلوم في درجة واحدة، إنما أنتم فلا تكونوا سنداً للظالم فقد جاء في الأثر «يُنادى مساء يوم القيامة أين الظلمة ؟! أين أعوان الظلمة فيجتمعون كلهم حتى من برَى لهم قلماً أو لاق دواة فيلقون في النار).

كتبها:

أبو عبد الفتاح بن حاج علي

تيزو وزو زنزانة رقم 3 قيادات الجيش في 23 نوفمبر 1993

الفهرست

* * *

كتب أخرى للمؤلف

* الصاعدة الفتية من وراء السجون العسكرية
* فصل الكلام في مواجهة ظلم الحكام
* غاية البيان والتدقيق
في إقامة الحجة على قاضي التحقيق

الطبعة الأولى

رجب 1414هـ

كانون الثاني / يناير 1994م

ترجمة الشيخ علي بن حاج

- هو أبو عبد الفتاح علي بن حاج وهو من مواليد 16 ديسمبر 1956 بتونس، ينتمي إلى منبت اجتماعي متواضع. ولد أبوه في ولاية أدرار - جنوب الجزائر - ، كان مجاهداً في جيش التحرير واستشهد عند الحدود الجزائرية التونسية.
- علي بن حاج أب لخمسة أطفال، تربى يتيماً في بيت جدته ثم في بيت خاله بالقبة (حي إبن عمار).
- درس في ثانوية الأخوين حامية - فرع أدبي - ثم أصبح أستاذاً في المتوسط
- حفظ القرآن «على سبع قراءات» في سنة 1977 بتفسيره
- كان كثير الاطلاع على مؤلفات علماء السلف وبالأخص شيخ الإسلام ابن تيمية
- كان من الأوائل الذين دعوا إلى المنهاج السلفي العلمي في الجزائر
- ألقى عدة دروس في التفسير، الفقه، مصطلح الحديث، العقيدة، السيرة والأصول في مساجد العاصمة. (وهذا سنة 1978)
- أُدخل السجن سنة 1983، وحكم عليه بـ 5 سنوات وكانت التهمة قضية بويعلى، وقضى عقوبة 4 سنوات ونصف سجن، ودخل معظم سجون الجزائر مثل (الحراش، سركاجي، بروقيه، لمبيس في باتنة، تيزي وزو)، ثم قضى الأشهر الست الأخيرة تحت الإقامة الجبرية بورقلة، ثم خرج من السجن سنة 1987 (ديسمبر) وأول من اتصل به هو الشيخ عباسي مدني
- وهو من مؤسسي الجبهة الإسلامية للإنقاذ
- سجن مرة أخرى يوم 30 جوان 1991 في سجن البليدة، وحكم عليه بـ 12 سنة سجن.